

2

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة الانجيلية بالعطارين

الاسكندرية

الإيمان المسيحي

هل هو معقول؟

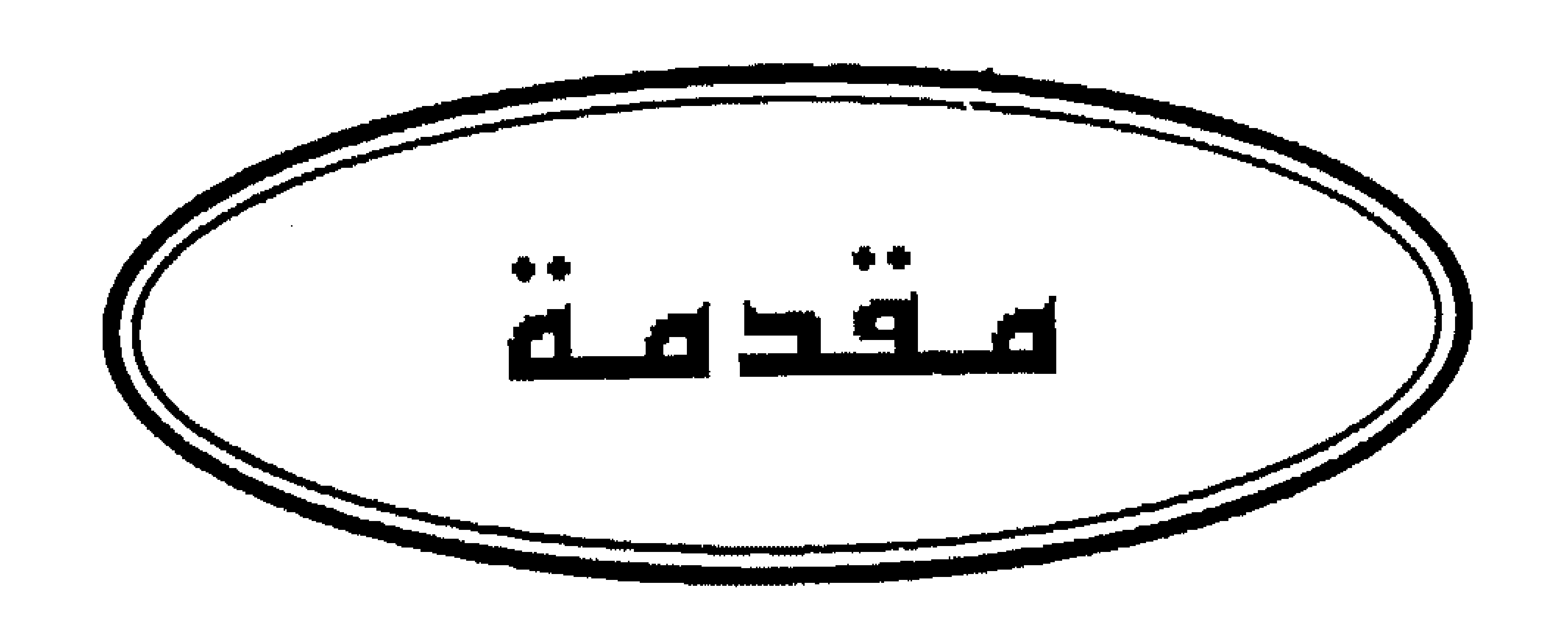
كلامك هو حق

يوحنا ١٧:١٧

طبعة ثانية

بقلم

ناشد حنا


مقدمة

مما حفزني إلى كتابة هذا الكتيب ما أبداه لي بعض زملاء أحفادي في الجامعة من الحاجة الماسة إلى توضيح مبسط للإيمان المسيحي لتثبيت طلاب الجامعة المسيحيين في إيمانهم. ولطمأنة زملائهم الأعزاء من غير المسيحيين على أن المسيحيين لايعتنقون الكفر أو الشرك بالله كما يبدو لأول وهلة للناظر السطحي. ولقد أعجبني ما رووه لي من أن زميلا عزيزاً لهم قام فيهم مؤخراً في أحد مدرجات الدراسة منادياً: أيها الزملاء المسيحيون راجعوا أنفسكم في ما تعتقدون .أجل . لقد أعجبت بهذا الشاب العزيز لإخلاصه لله ومحبته لزملائه وخوفه عليهم من أن يضيعوا ويهلكوا بسبب معتقدات قديمة يظن هو أنهم توارثوها وتلقنوها دون أن يبحثوها ويمعنوا النظر فيها كشباب مثقف. لأنه لولا ذلك ماذا كان يضير ذلك الشاب لو أن زملاءه يعتنقون الكفر ويمضون إلى الهلاك الأبدي ؟

ولا أقصد بهذا الكتيب الصغير أن أتناول كل حقائق الإيمان المسيحي لأن هذا الموضوع أكبر بكثير من أن تسعه صفحات قليلة كهذه. ولكني أقصد أن أضع فى أيدي من يريدون المعرفة ومن يرغبون في

التثبت في الإيمان . دون ان يكون لديهم الوقت الكافي للبحث المستفيض، أضع في أيديهم خيوط الحق الإلهي ليرجعوا بعد ذلك إلى الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله الحية الفعالة.

أما من جهة معقولية هذا الإيمان فقد لجأت فيه إلى ما انتهي إليه العلماء والفلاسفة والمفكرون بعد بحوثهم العميقة من آراء معقولة نقلتها بالنص بأمانة ولا أقصد طبعاً أننا نبنى إيماننا المسيحي على الأبحاث العلمية المعقولة حاشا. فان المصدر الوحيد لإيماننا هو إعلان الله عن ذاته في الكتاب المقدس الذي أعطاه لنا موحى به منه لكي نعرفه ونحبه ونعبده وتكون لنا به صلة وثيقة من الآن وإلى الأبد لأنه هكذا شاء في محبته ونعمته إذ أن البشر أسمي مخلوقاته، وقد أودع فيهم نسمة من عنده، خالدة لا تفنى بل تبقى إلى الأبد.

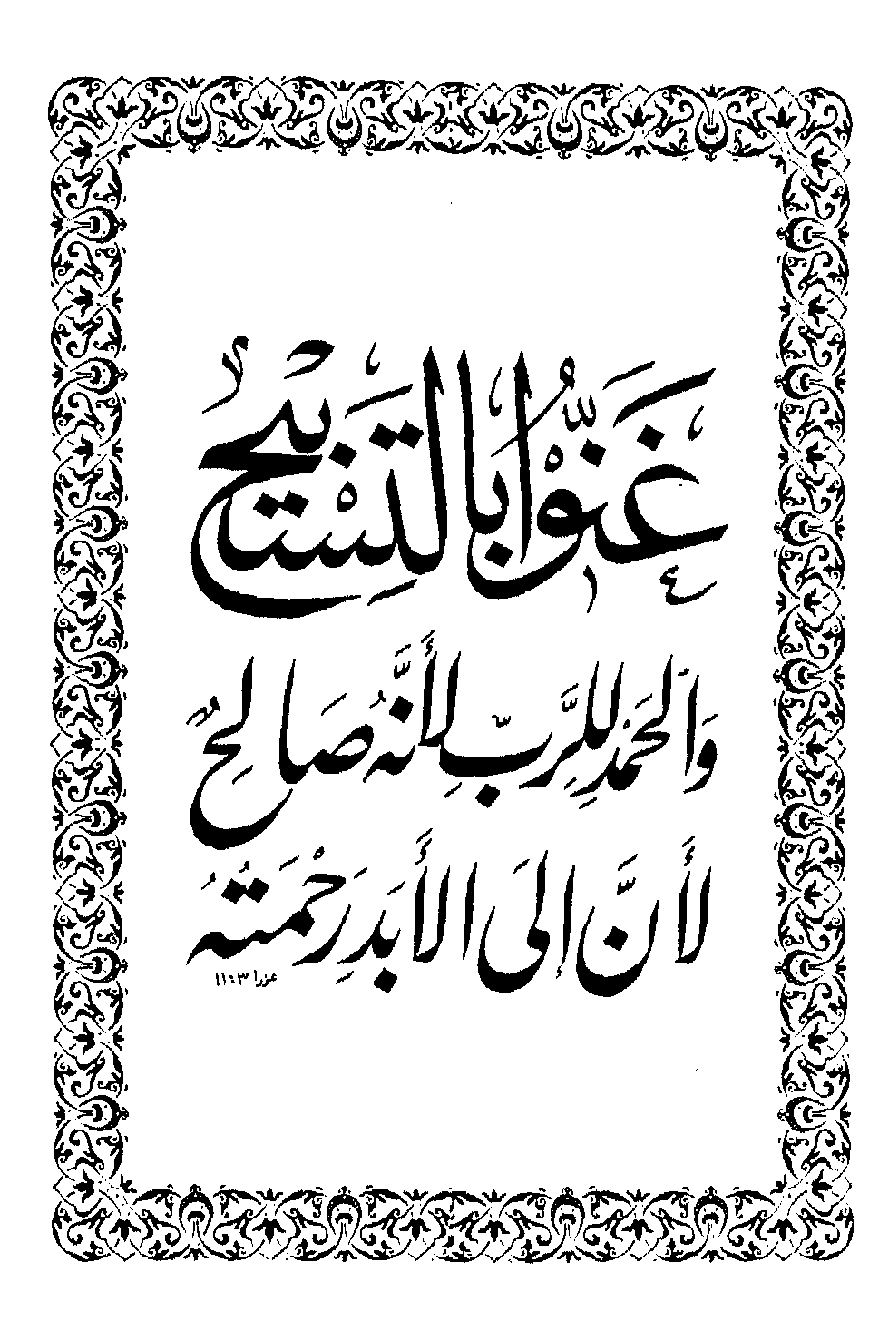
وقد أفردت في هذا الكتيب فصلا خاصاً لإثبات وحي الكتاب المقدس وعدم وصول أي تحريف إليه.

أما ما وصل إليه الفلاسفة من جميع الأديان مما أثبتنا بعضه في هذا الكتيب فنحمد الله على الصحيح منه لأنه يطابق الإعلان الإلهي إلى حد ما، كما نحمد الله على غير الصحيح مما أثبت عجز العقل البشري المحدود عن الوصول، بدون الاعلان الالهي، إلى

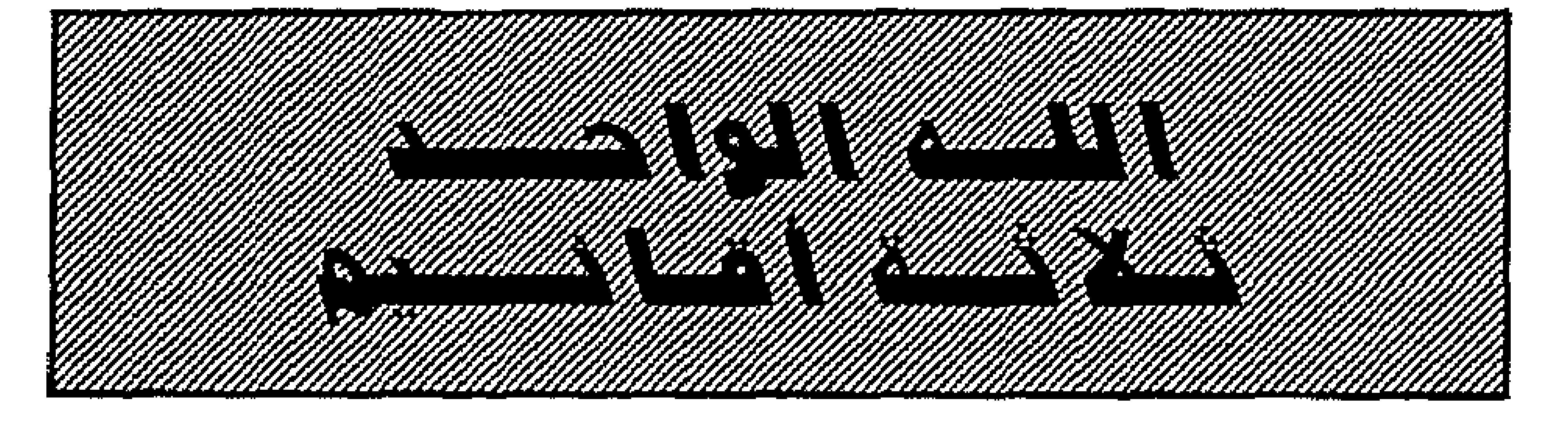
حقيقة الله عز وجل، ولكن حمداً لله لأن ما لم يستطع الحكماء والعلماء أن يدركوه أعلنه الله للبسطاء المخلصين كما قال المسيح له المجد «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال» (متى ١١:٢٥)

وإني إذ أضع هذا الكتيب في أيدي القراء الأعزاء أرفع معه صلوات حارة لله لكي يستخدمه لبركة كل نفس وراحة قلب كل متسائل. أما من يريد أن يعارض أو يجادل فليس لنا شأن معه، ولكننا نتركه في يدي خالقه الرحيم الذي يستطيع وحده أن يصل إلى الضمائر والقلوب .

المؤلف
أبريل ١٩٧٨


غنوا بالتسبيح
والحمد للرب لأنه صالح
لأن إلى الأبد رحمته
عزرا ٣ : ١١

الفصـــل الأول



قبل أن أدخل بكل خشوع واجلال إلى الكلام عن حقيقة الله عز وجل أرى لزاماً علي أن أمهد لذلك بتأملات مختصرة عن وجود الله .

وجود الله

لا يمكن إلا أن يكون الله موجوداً. هو واجب الوجود. وإلا فمن خلق هذا العالم بنواميسه الدقيقة؟ ومن خلقني أنا؟ ولمن أنا مدين بوجودي وكياني؟ إن الدليل علي وجود الله موجود في كيان الإنسان الكافر الذي يرفع عقيرته منكراً وجوده ، إذ في داخله الضمير الذي هو صوت الله، وصوت الأبدية أيضاً في قلبه كما هو مكتوب «صنع (الله) الكل حسناً في وقته، وأيضاً جعل الأبدية في قلبهم» (جامعة ٣:١١). وفي داخل الإنسان روح عاقلة ليست موجودة في الحيوانات، مصدرها الله ذاته كما هو مكتوب «ولكن في الناس روحاً ونسمة القدير تعقلهم» (أيوب ٣٢:٨). وبسبب نسمة القدير في الإنسان لا يشبعه العالم المادي كله، ولا يمكن أن يستريح قلبه أو يشبع إلا بالله . والغريزة الدينية قد وضعها الله في الإنسان دون سائر المخلوقات

غريزة الرغبة في التعبد وغريزة الشعور بالضعف، وبالحاجة إلى الاعتماد على قوة أعلى منه، خصوصاً أمام الأهوال، وأمام المجهول، وأمام الموت حيث يحس الإنسان بحقارته، فإذا تعرض للغرق أو للحريق مثلا يصرخ لاشعورياً (الله) مستنجداً بمن هو أعلى وأقوى منه.

الفخاري يصنع الإناء الجميل الذي يتحدث عن دقة وبراعة صانعه، ولكن لا علاقة بين الإناء وبين صانعه. لكن الله صنعنا وهو دائم الاتصال بنا «إذ هو يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض. وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم. (وهو) عن كل واحد منا ليس بعيداً. لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد.» (أعمال ١٧:٢٥-٢٨).

ومن محبته للبشر أعلن ذاته لهم في كتابه، وكلمهم «بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة» (عبرانيين ١:١).

لايوجد إنسان عاقل ينكر وجود الله ولكن «قال الجاهل في قلبه ليس إله» (مزمور ١٤:١) أي أنه يحاول أن يغالط نفسه ويسكت صوت عقله. ويوجد سبب لهذا، يذكره الكتاب المقدس بعد هذه العبارة (فسدوا ورجسوا بأفعالهم) فالعلة ليست في عقله لكن

في قلبه الذي يحب الفساد والرجس وصوت الضمير في داخله يقول أن الله ديان لهذا الفساد. وكما تخفي النعامة رأسها في الرمال لكي تبعد عن عينيها منظر الصياد، هكذا الجاهل يري أن خير مهرب الدينونه هو أن يقنع نفسه أنه (ليس إله).

ويشهد الكتاب المقدس أن الوثنيين. لم يجهلوا وجود الله (إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة تري منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتي أنهم بلا عذر. لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي... وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات. لذلك أسلمهم الله في شهوات قلوبهم إلى النجاسة) (رومية ١:١٩-٢٤). فهم عرفوا الله ولكنهم لم يمجدوه والسبب في ذلك هو شهوات قلوبهم ونجاستهم. وقد قال أيوب عن مثل هؤلاء (فيقولون لله أبعد عنا وبمعرفة طرقك لا نسر) (أيوب ٢١:١٤). فهم لا ينكرونه ولكن يبعدونه عن أنفسهم. أو يريدون أن يقطعوا قيوده ويطرحوا عنهم ربطه (مزمور ٢:٣).

فالعقل السليم يستطيع أن يعرف وجود الله ولكنه يعجز عن معرفة ذاته وحقيقة كيانه وجوهره لأن العقل محدود، والله عظيم وغير محدود كما جاء في سفر أيوب «أإلى عمق الله تتصل أم إلى نهاية القدير تنتهي؟ هو أعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل؟ أعمق من الهاوية فماذا تدري؟». وأيضاً «عند الله جلال مرهب. القدير لا ندركه» (ص ٢٢:٣٧و٢٣). من هنا لزم الإعلان الإلهي. لأنه لو لم يعلن الله ذاته لنا ما كنا لنعرفه.

وقد سئل أحد علماء الصوفية «ما الدليل على الله»؟ فقال «الله». ولما سئل «فما العقل»؟ قال «العقل عاجز. والعاجز لايدل إلا على عاجز مثله». وقال «ابن عطا» «العقل آلة للعبودية (أي للتعبد) وليس للإشراف على الربوبية» وهذا صحيح تماماً، لأننا نعبد الله بالروح وبالعقل «عبادة عقلية» (رومية ١:١٢). ولكننا نعرفه بموجب الإعلان الإلهي، ونؤمن به بالقلب (إن آمنت بقلبك) (رومية ٩:١٠). أما العقل فينحني خاشعاً للاعلان الإلهي ولا يستطيع أن يعترض عليه لأنه ليس ضد العقل بل هو أكبر منه ويسمو فوقه.

ولنأخذ مثلا بسيطاً على عجز العقل المحدود عن ادراك الله غير المحدود. هل يستطيع العقل أن

يدرك (الأزل)؟ ليرجع العقل إلى ملايين الملايين من السنين هل يكون قد وصل إلى شيء؟ كلا.. وهكذا (الأبد). وما أصدق ما قاله أليهو (هوذا الله عظيم ولا نعرفه وعدد سنيه لا يفحص) (أيوب ٣٦:٢٦). لقد أعطانا الله العقل لنفهم به خليقة الله ولنعبد به الخالق بخشوع، ولكن إذا تطاولت عقولنا محاولة فحص الذات الإلهية فإننا نخسرها ونخسر أنفسنا.

إن الله هو خالقنا العظيم الذي أعطانا هذا الكيان الثلاثي العجيب المركب من الروح والنفس والجسد هذا الكيان الذي لم نستطع للآن أن نحيط بكل أسراره ودقائقه، فمنذ القديم قد تفرغ بعض العلماء لدراسة الطب ووظائف أجهزة الجسم، وتفرغ آخرون لدراسة علم النفس، وآخرون لدراسة الروحيات وسر الحياة وما بعد الموت، للآن كل هذه الدراسات مستمرة ومتجددة، وتكتشف الجديد دائماً ولكنها تعترف كلها أنها لم تصل.

والله هو أيضاً خالق السموات والأرض وكل ما فيها، وواضع قوانينها وأسرارها وحافظ كيانها بكلمة قدرته. ومنذ القديم يوجد علماء تفرغوا لدراسة علم الفلك والكواكب والفضاء وآخرون لدراسة الجيولوجيا، وآخرون للطبيعة والكيمياء، وآخرون للهندسة والرياضيات، وآخرون للنبات والحيوان، وغير هذه

من العلوم بشتى فروعها. ومنهم من كرس حياته كلها لدراسة علم الحشرات، وعلم الطفيليات، والمخلوقات الدقيقة التي لا تري إلا بالمجهر الإلكتروني، وجميعهم مع ما يصلون إليه من جديد يعترفون بأنهم لا يزالون على هامش المعرفة وعلى شاطىء محيط العلم (*).

(*) من بين هؤلاء العلماء في كل فروع العلم مؤمنون مسيحيون شهدوا أنهم أدركوا عظمة الخالق في ما اكتشفوه من أسرار دقيقة في دراساتهم وسطروا شهاداتهم في كتاب نقله إلى العربية أحد الأدباء
ويختم هذا الكتاب بهذه الترنيمة الحلوة:

يا سيدي لما أرى نجومك
وكل ما يدور في الأفلاك
اسمع صوت الرعد في غيومك
وكلها قد صنعت يداك
نفسي تغني يا مخلصي
ما أعظمك ما أعظمك
نفسي تغني يا مخلصي
ما أعظمك ما أعظمك

فكم هو عظيم ذلك الخالق غير المحدود الذي يملأ السموات والأرض ولا تسعه سماء السموات، الأزلي الذي لا بداءة له والأبدي الذي لا نهاية له. غير المحدود في قدرته وسلطانه، وفي علمه وحكمته، وفي كل شيء. أجل هو أعظم من أن يحيط به عقل الإنسان المخلوق المحدود.

ولقد أوجد الله في البشر غريزة دينية فأخذوا يتلمسون الله لعلهم يجدونه ولكنهم لم يجدوه لأن الشيطان أعمى أذهانهم والخطية أظلمت قلوبهم كما سلف القول. وهكذا جميع البشر بما فيهم الفلاسفة صنعوا لأنفسهم آلهة بحسب تصور عقولهم - أوثاناً أودعوا فيها صورة ما يظنون وما يتمنون أن يكون إلههم (انظر رومية الأصحاح الأول). ويبين الوحي الإلهي جهلهم بقوله عن الذي يصنع الوثن (نجر خشبا مد الخيط... يصنعه بالأزاميل. وبالدوارة يرسمه. فيصنعه كشبه رجل كجمال إنسان ليسكن في البيت ... غرس سنوبرا والمطر ينميه... ويأخذ منه ويتدفأ. يشعل أيضاً ويخبز خبزاً. ثم يصنع إلهاً فيسجد. قد صنعه صنماً وخر له. نصفه أحرقه بالنار. على نصفه يأكل لحما. يشوي مشوياً ويشبع. يتدفأ أيضاً ويقول بخ قد تدفأت... وبقيته قد صنعه إلهاً صنماً لنفسه. يخر له ويسجد ويصلي إليه ويقول

نجني لأنك أنت إلهي) (إشعياء ٤٤:١٢-١٧).

أما الفلاسفة الذين لم يصنعوا لأنفسهم أوثاناً ليسجدوا لها اشباعا لغريزتهم الدينية فتساموا عن الأصنام المادية ورسموا في خيالهم كائناً روحياً عظيماً جداً يجلس على عرش كبير ونسبوا إليه الوحدانية المطلقة. وهذه الوحدانية تتطلب أنه لا يتميز بمميزات، وليس بينه وبين ذاته نسب أو علاقات، وليس له ماهية أو كيان أو صفة من الصفات. ورغبة في تعظيمه بحسب فكرهم والمحافظة على وحدانيته نزهوه عن كل شيء في الوجود حتي عن العلم والبصر والسمع.

ولكن إلهاً مثل هذا يكون وهماً لا حقيقة ويكون هو والعدم سواء، وذلك كالنقطة الهندسية الفرضية التي لا وجود لها. وإله خيالي مثل هذا لا يتصل بمخلوقاته ولا يراهم أو يسمعهم، هو والوثن سواء.

ولكن شكراً لله لأنه يوجد فلاسفة آخرون كثيرون رأوا أن تنزيه الله عن كل شيء حتى عن أن يعقل ذاته، لا يعظم الله بل بالعكس يجرده من الكمال اللائق به، ولذلك وصلوا إلى أن وحدانية الله هي وحدانية جامعة، وإن كانوا قد تحيروا في ادراكها، كما سنرى عند اقتباس أقوالهم. وهذه الحيرة

طبيعية لأن الله فوق العقل المحدود كما أسلفنا القول. ولكننا إذا رمنا الحقيقة التي تستريح إليها نفوسنا وتطمئن بها قلوبنا، فلا يمكن ان نستمدها إلا من الله نفسه إذا كان قد شاء أن يعلن ذاته لنا، لأننا نحن لا نستطيع أن نصل إليه، أما هو فيستطيع أن يصل إلينا إذا شاء. وتبارك اسمه وتعالى لأنه شاء أن يعلن لنا ذاته وصفاته في الكتاب المقدس الذي أوحى به إلينا (انظر الفصل الخامس).

وحدانية الله

يخبرنا الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد أن الله واحد، لا إله إلا هو. ومجرد ذكر اسم (الله) بأل التعريف دليل على وحدانيته . وإليك بعض الشواهد من الكتاب المقدس:

من العهد القديم «فاعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه» (تثنية ٤:٣٩). «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» (تثنية ٦:٤) «أنا الرب صانع كل شيء ناشر السموات وحدي. باسط الأرض. من معي» (اشعياء٤٤:٢٤) «أليس أنا الرب ولا إله آخر غيري، ليس سواي» (إشعياء ٤٥:٢١) .«أليس إله واحد خلقنا» (ملاخي ٢:١٠)

ومن العهد الجديد: «بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه» (مرقس ١٢:٣٢) «المجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه» (يوحنا ٥:٤٤). «لأن الله واحد» (رومية ٣:٣٠) «نعلم أن ليس إله آخر إلا واحد» (كورنثوس الأولى ٨:٤). «ولكن الله واحد» (غلاطية ٣:٢٠) «لأنه يوجد إله واحد» (تيموثاوس الأولى ٢:٥) «أنت تؤمن أن الله واحد. حسنا تفعل» (يعقوب ٢:١٩).

نوع وحدانية الله

قبل أن أبين بالأدلة العقلية والنقلية والمنطقية النوع الوحيد للوحدانية التي تليق بالله جل جلاله. وأؤيد ذلك بشهادة الفلاسفة الذين يؤمنون بالتوحيد قبل ذلك أرجع إلى الكتاب المقدس الذي اقتبست منه بعض الآيات الدالة على وحدانية الله حيث نجد فيه صيغة الجمع (*) في اسم الله عز وجل - تلك الصيغة التي وردت في العهد القديم نحو ثلاثة آلاف

(*) لا يمكن الاعتراض على استعمال صيغة الجمع بأنها صيغة تعظيم الذات لأن هذه الصيغة لا توجد في اللغة العبرية التي كتبت بها التوراة بدليل أن أقوال الملوك المدونة في التوراة هي بصيغة المفرد «أنا نبوخذ نصر». فضلا عن ذلك فان الله العدل لا يحتاج الى تعظيم ذاته.

مرة، فضلا عن العبارات الكثيرة الواضحة التي نجد فيها لا ما يفيد الجمع فقط بل الثالوث بالتحديد. وإليك بعض الشواهد الكتابية من العهد القديم:

أول آية في الكتاب المقدس هي «في البدء خلق الله (ايلوهيم بصيغة الجمع) السماوات والارض»

وفي عدد ٢٦ من نفس الاصحاح يقول الله «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا»

وفي عدد ٢٢ من الأصحاح الثالث يقول الله «هوذا الإنسان قد صار كواحد منا» وقوله تعالى «كواحد» يدل على وجود أقانيم في اللاهوت. وفي العدد السابع من الأصحاح الحادي عشر يقول الله «هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم».

وفي (مزمور ٤٥:٦و٧) نقرأ «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور (وذلك عن الابن) (عبرانيين ١:٨) من أجل ذلك مسحك الله إلهك (عن الآب) بدهن الابتهاج». وهنا نري الآب والابن.

وفي (المزمور الثاني) نجد الله الآب الماسح، والله الابن الممسوح، والروح القدس المسحة «لكم مسحة من القدوس (١يو٢:٢٠)» فنقرأ قول الآب عن الابن «أما أنا فقد مسحت ملكي» (مز٢:٦). وقول الابن عن الآب «قال لي انت ابني» (ع٧). وقول

الروح القدس عن الابن نفسه «اعبدوا الرب بخوف ... قبلوا الابن لئلا يغضب» (ع١١و١٢).

وفي (مزمور١١٠) نقرأ «قال الرب لربي» وهنا نري الآب والابن. وفي (إشعياء ٦:٦) نقرأ «من أرسل (بالمفرد) ومن يذهب من أجلنا» (بالجمع).

وفي (إشعياء ٤٨:٢١و١٦) نقرأ أنا هو الأول وأنا الآخر (الابن)... منذ وجوده (الآب) أنا هناك (الابن) . والآن السيد الرب (الآب) أرسلني (الابن) وروحه» (الروح القدس) وهنا نرى ثالوثاً في اللاهوت ثم إليك هذه الشواهد من العهد الجديد:

نقرأ في (متى ١٦:٣و١٧) أن الرب يسوع له المجد عندما اعتمد من يوحنا في نهر الأردن انفتحت له السموات وأتى عليه الروح القدس «نازلا مثل حمامة. وصوت من السموات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» وهنا أيضاً نرى الاقانيم الثلاثة.

ونقرأ في (متي١٩:٢٦) قول الرب يسوع لتلاميذه «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» فنجد هنا أقانيم اللاهوت الثلاثة ونلاحظ أن الرب يسوع يقول «باسم» لا بأسماء لأن الثلاثة هم واحد - الله الواحد.

ونقرأ في (انجيل يوحنا ١٤: ١٦و١٧و٢٦) وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق» وهنا نجد الأقانيم الثلاثة.

ونقرأ في (كورنثوس الثانية ١٤:٢٣) «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس» وهنا نرى الأقانيم الثلاثة.

ونقرأ في (غلاطية ٤:٦) «بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً ياأبا الآب»، وهنا نرى الأقانيم الثلاثة. وكذلك في (أفسس٢:١٨) حيث نقرأ «لأن به (المسيح) لنا كلينا (اليهودي والأممي) قدوماً في روح واحد إلى الآب» وكذلك نقرأ في رسالة يهوذا عدد ٢٠ «مصلين في الروح القدس، واحفظوا أنفسكم في محبة الله (الآب) منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح».

ولأن الله بثالوث أقانيمه هو إله واحد لذلك عندما يذكر الكتاب المقدس اقنومين أو أكثر لا يأتي بالفعل في صيغة المثني أو الجمع بل في صيغة المفرد. مثال ذلك قوله «والله نفسه أبونا وربنا يسوع المسيح يهدي (بالمفرد) طريقنا» (تسالونيكي الأولي ٣:١١). وأيضا«وربنا نفسه يسوع المسيح، والله أبونا يعزي (بالمفرد) قلوبكم» (تسالونيكي الثانية ٢:١٦). ونلاحظ في هذه الآية تقدم ذكر الابن عن لآب لأن

الأقانيم الثلاثة واحد في اللاهوت. ومن الخطأ أن نقول : الأقنوم الأول، والثاني، والثالث. ونقرأ أيضا «صارت ممالك العالم لربنا (الآب) ومسيحه (الابن) فسيملك (بالمفرد) إلى أبد الآبدين» (رؤيا١١:١٥). وأيضاً «وسيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه (بالمفرد) ألف سنة (رؤيا٢٠:٦). وأيضا «وعرش الله والخروف (المسيح الفادي) يكون فيها (عرش واحد) وعبيده يخدمونه» (بالمفرد) (رؤيا٢٢:٣).

الثالوث الأقدس

مما تقدم نرى أن الله أعلن ذاته في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، إلهاً واحداً لا نظير له ولا شريك في ثلاثة أقانيم : الآب والابن والروح القدس. الآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله لا ثلاثة آلهة بل إله واحد - ذات واحدة، جوهر واحد، لاهوت واحد. ولكن ثلاثة أقانيم متحدون بغير امتزاج ومتميزون بغير انفصال. وكل اقنوم أزلي، أبدي غير محدود، لا يتحيز بمكان أو زمان، كلي العلم، كلي القدرة، كلي السلطان، لأن الأقانيم ذات واحدة.

وكلمة «أقانيم» كلمة سريانية، وهي الوحيدة في كل لغات العالم التي تعطي هذا المعني أي تميز مع

عدم الانفصال أو الاستقلال. لأنه بما أن الله لا شبيه له بين كل الكائنات، وبما أن لغات البشر إنما تصف الكائنات المحدودة، فلا توجد فيها كلمة تعطينا وصفاً للذات الإلهية بحسب الإعلان الإلهي. وبهذه المناسبة أقول أنه لايجوز بالمرة تشبيه الله الواحد من جهة أقانيمه الثلاثة بتشبيهات من الكائنات كالشمس وغيرها لأن كل الكائنات محدودة ومركبة، والله غير محدود ولا تركيب فيه وقد استعملت بعض اللغات كالانجليزية كلمة «شخص» للتعبير عن الاقنوم ولكن كل شخص كائن مركب والله لا تركيب فيه، والأشخاص المتميزون منفصلون، ومهما تماثلوا لا يمكن أن يتعادلوا تماماً أو يتحدوا. أما كلمة أقانيم فتعني شخصيات متميزة، ولكن متحدة (بغير امتزاج) وهم ذات واحدة. وربما تكون أقرب كلمة عربية لمدلول الأقانيم هي كلمة «تعينات»

هل هذا معقول ؟

تبدو هذه الحقيقة معقدة فعلا وصعبة الاستيعاب، ولكن أليس هذا دليلا واضحاً على صحتها وعلى أن الله نفسه هو الذي أعلن ذاته بها؟ لأن الإنسان إذا أراد أن يزيف إيماناً أو يصنعه فإنما يصنعه وفق الفطرة البشرية وفي مستوى العقل ليسهل قبوله

واستيعابه. أما اذا كان الأمر خاصا بحقيقة الله غير المحدود فلابد أن يكون الإعلان كبيراً فوق الفهم الطبيعي، وأسمى من العقل ولكن لا يتعارض معه، ليكون المجال لقبول الاعلان الالهي، للإيمان ولنور الله في القلب كما يقول الكتاب المقدس أن «الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه (أى فى ما لروح الله) روحيا»(رسالة كورنثوس الأولي ٢:١٤). فالإيمان بإعلان الله عن ذاته ثالوثاً، وإن كان يبدو صعباً، ولكنه معقول، بل هو المعقول لأننا سبق أن رأينا أن الوحدانية المطلقة لا تليق بالله لأنها تقتضي تنزيهه عن الصفات والعلاقات. ولكن بما أن الله ذات فهو يتصف بصفات وله علاقات. ولكن بما أنه وحده الأزلي فلم يكن غيره في الازل ليمارس معه الصفات والعلاقات. وبناء عليه تكون صفاته وعلاقاته عاطلة في الأزل ثم صارت عاملة بعد خلق الكائنات، وحاشا أن يكون الأمر كذلك لأن الله منزه عن التغير، وهو مكتف بذاته، مستغن عن مخلوقاته. إذن لابد أن الله كان يمارس علاقاته وصفاته فى الأزل مع ذاته لأنه لاشريك له ولا تركيب فيه.ولا بد فى هذه الحالة من الاعتراف بأن وحدانيته جامعة - أى جامعة لتعينات الذات الواحدة، لأن من لا تعين له لاوجود له.

ولا تناقض بين الوحدانية والتعينات لأن الله واحد فى جوهره وجامع في تعيناته، لأنه يمارس صفاته وعلاقاته مع ذاته بالفعل منذ الأزل - مع تعيناته وليس مع صفاته لأن الصفات معان، وليست تعينات عاقلة يمكن التعامل معها. فلا يقال مثلا أن الله كان في الأزل يكلم صفاته ويسمعها ويبصرها ويحبها، أو أن صفاته كانت تكلمه وتبصره وتحبه ولكن نقرأ في الكتاب المقدس أن الابن يحب الآب، والآب يحب الابن قبل انشاء العالم، والروح القدس هو « روح المحبة». وكانت هناك مشورة في الأزل بين الأقانيم الثلاثة.

ولابد من الاقرار بتعينات الله والا جعلناه جوهراً غامضاً لا يمكن الاتصال به أو معرفة شيء عنه بينما يتفق الجميع على أنه تكلم مع موسى ومع ابراهيم وأظهر ذاته للأنبياء. ووجود التعينات في الله لا يمس وحدانيته كما قلنا لأن التعينات هم ذات الله وليسوا أجزاء من ذاته، حاشا. بل ذات واحدة، جوهر واحد لاهوت واحد.

لاشك أن هذه الحقيقة فوق الإدراك البشرى لأنه لا شبيه لهذه الوحدانية في الكائنات المنظورة ولكن هذه الحقيقة لا تتعارض مع العقل بل هي معقولة. وقد شهد بمعقوليتها كثيرون من الفلاسفة الموحدين.

الذين تعمقوا فى البحث.

أرا بعض الفلاسفة الموحدين في نوع وحدانية الله، وفى الأقانيم

قال الإمام الغزالى فى كتابه «الرد الجميل» المشار إليه فى كتاب «تاريخ الفلسفة فى الإسلام» صفحة ١٩٦ «يعتقد النصارى أن ذات الباري واحدة في الجوهر، ولها اعتبارات. والحاصل من هذا التعبير الاصطلاحي أن الذات الإلهية عندهم واحدة في الجوهر وإن تكن منعوتة بصفات الأقانيم».

وقال الشيخ أبو الخير الطيب في كتابه «أصول الدين» صفحة١٥٣ «أقوال علماء النصارى تشهد بتوحيدهم، لأنهم يقولون أن البارى تعالى جوهر واحد موصوف بالكمال، وله ثلاث خواص ذاتية كشف المسيح القناع عنها وهى : الآب والابن والروح القدس. ويريدون بالجوهر هنا ما قام بنفسه مستغنياً عن الظروف».

هاتان الشهادتان عن الإيمان المسيحي قريبتان من الصحة. غير أنهما قالا عن الأقانيم أنهم «اعتبارات» أو «صفات» وهذا نقلوه عن بعض فلاسفة المسيحيين دون الرجوع إلى الكتاب المقدس.

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتابه «الطمس في القواعد الخمس». «وأذا أمعنا النظر في قول النصارى أن الله جوهر واحد وثلاثة أقانيم لا نجد بينهم وبيننا اختلافا إلا في اللفظ فقط. فهم يقولون أنه جوهر ولكن ليس كالجواهر المخلوقة ويريدون بذلك أنه قائم ، والمعني صحيح ولكن العبارة فاسدة».

ولكن الواقع أنه لا فساد في العبارة، فقد شهد كثيرون من العلماء والفلاسفة أنه يمكن اطلاق كلمة «جوهر» على الله. فقد قال مثلا الإمام جعفر بن محمد الأشعبي «يتعين أن يكون الله جوهراً، أو جوهراً خاصاً، أو ذاتاً، ما شئت فسمه إذ لا أهمية للفظ مع سلامة المعنى». وقد جاءت كلمة «جوهر» مرة واحدة في الكتاب المقدس عن المسيح «الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره» (عبرانيين١:٣).

وجاء في كتاب العقائد النسفية صفحة ١٦٢ «لا مخالف فى مسألة توحيد واجب الوجود إلا الثنوية (أي الذين يعتقدون بإلهين: واحد للخير وآخر للشر) دون النصارى» أى أن النصارى موحدون.

وقال ابن سينا «الله علم وعالم ومعلوم، وعقل وعاقل ومعقول، ومحبة ومحب ومحبوب». وجاء في مجلة كلية الآداب الصادرة في مايو سنة ١٩٢٤،

وفي كتاب نصوص الحكم للفيلسوف محيى الدين العربى «صفحات ١٣٢و١٣٤و٢٢٥و٢٢٦» ما يأتى «ان أول صورة تعينت فيها الذات الالهية كانت ثلاثية، وذلك لأن التعيين كان في صورة العلم حيث: العلم والعالم والمعلوم حقيقة واحدة. كما أن أول حضرة إلهية ظهر فيها الله كانت ثلاثية لأنها حضرة الذات الإلهية المتصفة بجميع الأسماء والصفات فضلا عن ذلك فان عملية الخلق نفسها تقتضى وجود الذات الإلهية، والإرادة، والقول: «كن». فالتثليث هو إذن المحور الذي تدور حوله رحى الوجود وهو الشرط الأساسي فى تحقيق الإيجاد. والخلق».

وقد أنشد الفيلسوف محيى الدين العربى فى حب الله قائلا:

«تثليث محبوبى وقد كان واحداً

كما صير الأقنام بالذات أقنما»

ولا يقصد هذا الفيلسوف بهذا الشعر وبأقواله السابقة أن يؤيد العقيدة المسيحية لأنه كان من المسلمين المتمسكين، ولكنه أراد أن يعلن أن الله كان يظهر دائما في ثالوث هو «العلم والعالم والمعلوم»، أو «الذات والإرادة والكلمة». ويقصد أن مجرد اتصاف الله بصفات وقيامه بأعمال دليل على أنه تعالى ليس أقنوماً واحداً بل أقانيم .

وقال نفس هذا الفيلسوف «إن الله هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وعين ما ظهر وعين ما بطن فالأمر حيرة في حيرة. واحد في كثرة، وكثرة مردها إلى واحد».

وقال ابن الفارض «الحمد لله الذي تجلى بذاته، فأظهر حقائق أسمائه وصفاته. فجعلها أعياناً ثابتة وحقائق عينية».

وقال الشيخ البيجورى «الحاصل أن الوحدانية الشاملة هى وحدانية الذات، ووحدانية الصفات، ووحدانية الأفعال».

وقال صاحب التحقيق «أرى الكثرة فى الواحد. وان اختلفت حقائقها وكثرت فإنها عين واحدة. فهذه كثرة معقولة في واحد العين».

وقال الإمام الغزالى «من ذهب الى أن الله لا يعقل نفسه إنما خاف من لزوم الكثرة» ثم قال «إن كان عقل الله ذاته فيرجع الكل إلي ذاته فلا كثرة إذن. وإن كانت هذه كثرة فهى موجودة فى الأول» (أى أنها أصلية في الله أزلا).

وقال الأستاذ عباس محمود العقاد فى شرحه لاعتقاد المسيحيين في ذات الله (كتاب الله صفحة ١٧١) «إن الأقانيم جوهر واحد. وإن «الكلمة» و «الآب» وجود واحد، وإنك حين تقول «الآب»

لاتدل عن ذات منفصلة عن «الابن» لأنه لا انفصال ولا تركيب في الذات الإلهية».

عقيدة الثالوث ليست مقتبسة من الوثنية

يقول البعض، إما عن عدم درس وفهم أو عن سوء نية بغرض التضليل - يقولون إن عقيدة الثالوث كانت موجودة عند الوثنيين في الهند، وكانوا يطلقون على إلههم المثلث: براهما، وفشنو، وسيفا. ويقولون إن البوذيين كانوا يعتقدون أن بوذا ذو ثلاثة أقانيم: الأول والوسط والآخر. وأن قدماء المصريين كانوا يعتقدون بآلهة ثلاثية: الأولي أمون، وكونس، وموت. والثانية: أوزيريس، وإيزيس، وحورس . والثالثة: خنوم، وساتيت، وعنقت. وأن الأول من كل مجموعة هو الآب والثاني هو الابن والثالث هو الروح القدس كما هو الحال عند المسيحيين. ويقولون إن البابليين والفرس والصينيين كان يعتنقون مثل هذه العقيدة.

والواقع أن كل هذه الأقوال هراء في هراء وليس لها أى نصيب من الصحة. وهي تقال لتضليل غير الدارسين. ولكن بالدرس الدقيق لتلك الديانات يتضح أن براهما وفشنو وسيفا عند الهنود ثلاثة آلهة

مختلفون عن بعضهم تماماً. أما بوذا فكان رجلا عادياً عاش في الهند حوالى سنة ٥٠٠ قبل الميلاد وكانت له تعاليم معينة. أما آلهة المصريين فهى لاتنص على أن كل مجموعة من آلهتهم إله واحد بل ثلاثة آلهة مختلفون عن بعضهم تماماً فكانوا يمثلون أمون برجل وكونس «أوخنسو» بالقمر، وموت بأنثى النسر. وأوزيريس برجل، وايزيس بامرأة، وحورس بالصقر، وخنوم بالكبش، وساتيت بامرأة هى زوجته الأولى، وعنقت زوجته الثانية. ولا مجال هنا للكلام عن الأوثان الأخرى عند البابليين والفرس وغيرهم .

فأي افتراء متعمد بجهل تتضمنه أقوال أولئك المعترضين! ويكفى هنا أن نثبت بطلان هذه الأقوال من الوجهه التاريخية باقتباس أقوال الأستاذ عباس محمود العقاد في كتاب «الله» صفحات ١٤٩ إلى ١٥٤ ونلخصها فيما يلى: «فكرة الله فى المسيحية لا تشبهها فكرة أخرى من ديانات ذلك العصر الكتابية أو غير الكتابية. وروح المسيحية في إدراك فكرة الله هي روح متناسقة تشف عن جوهر واحد، ولا يشبهه إدراك فكرة الله في عبادة من العبادات الوثنية، فالإيمان بالله على تلك الصفة فتح جديد لرسالة السيد المسيح لم يسبقه اليها في اجتماع مقوماتها رسول من الكتابيين ولا غير الكتابيين. ولم تكن أجزاء

مقتبسة من هنا أو هناك، بل كانت كلاما متجانسا من وحى واحد وطبيعة واحدة».

تميز الأقانيم

أقانيم اللاهوت الثلاثة متحدون في الجوهر واللاهوت، ولكل أقنوم كامل صفات اللاهوت، أى أزلى وأبدى وغير محدود وكلى القدرة والعلم والسلطان والقداسة، ولكن الأقانيم متميزون، أى أن لكل أقنوم بعض أعمال خاصة لا نستطيع أن ننسبها إلى الأقنومين الآخرين. فهناك تميز واتحاد ولكن ليس هناك امتزاج أى لا نستطيع أن نقول أن الابن هو الآب ولا الآب هو الابن، مع أن الابن والآب واحد.

وواضح جداً من الكتاب أن أقنوم الابن هو الذى جاء إلى العالم متجسداً مرسلا من الآب ليتمم عمل الفداء بموته الكفارى على الصليب، فمكتوب «في هذا هى المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (ا يو ٤: ١٠) و «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» «ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة» (غلاطية ٤: ٤). والابن يقول «خرجت من

عند الآب، وقد أتيت إلى العالم، وأيضا أترك العالم وأذهب إلى الآب» (يوحنا ١٦:٢٨). فالآب هو الذى أرسل الابن، وهو الذي بذله لأجلنا وهو الذي قدمه كفارة عن خطايانا. والابن هو الذى خرج من عند الآب، وهو الذي جاء إلى هذا العالم مولوداً من عذراء، وهو الذي مات على الصليب حاملا قصاص خطايانا. ولا نستطيع أن ننسب إلى الابن ما اختص به الآب. ولا ننسب إلى الآب ما اختص به الابن فنقول مثلا أن الآب تجسد وأتى إلى العالم مولوداً ومات على الصليب. هذا خطأ محض لأن الذي تجسد هو أقنوم الابن فقط. ولا يجوز أن نقع في هذا الخلط في الكلام أو فى الصلاة، ولو عن طريق السهو.

والروح القدس جاء إلى العالم فى يوم الخمسين مرسلا من الآب والابن، جاء بلاهوته غير متجسد ليشهد للابن وليسكن في جميع المؤمنين بعد أن يلدهم ولادة ثانية في كل الأجيال وفى كل مكان فى العالم وهذا دليل على لاهوته غير المحدود الذي لا يتحيز بمكان أو زمان.

ومن اختصاص الابن أيضا أن يدين الأشرار، الأحياء والأموات لأنه هو الذي أكمل الفداء على الصليب. ومما يبين هذا التميز بوضوح قول الوحي

«الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب» (يوحنا٥:٢٢).

ومن سخف القول أن هذا التميز يعني انقساماً أو تجزيئاً في اللاهوت وسبق أن أوضحنا الرد على هذا الاعتراض لأن اللاهوت واحد غير محدود لا يدرك ولا ينقسم لأنه لا تركيب فيه. ولكن التميز هو في الأقانيم أو تعينات الله المتحدة فى الجوهر بغير انقسام أو امتزاج.

ومن سخف القول أيضاً أنه إذا كان الله قد تجسد ونزل من السماء إلى هذا العالم فهل كانت السماء خالية في مدة التجسد؟ ومن الذي كان يدير الكون في تلك المدة؟ والخطأ كله يرجع إلى تطبيق ما للكائنات المحدودة التي تقع تحت حسنا وبصرنا على الله غير المحدود الذى لا يتحيز بمكان أو زمان من الأزل وإلى الأبد، وبتطبيق أقيسة المحدود على الله غير المحدود.

طبيعة الله

تكلمنا فيما سلف عن جوهر الله، لاهوته، وعن صفات الله، وأعماله، ونضيف هنا كلمة مختصرة عن طبيعة الله.

يخبرنا الكتاب المقدس في رسالة يوحنا الرسول الأولى عن طبيعة الله قائلا «الله نور وليس فيه ظلمة البتة» (ص ١: ٥). وفي أصحاح ٤ يقول مرتين «الله محبة» (عدد ٨و١٦). ليست هاتان صفتين لله بل هما طبيعة الله: نور (يتضمن القداسة والحق والبر)، ومحبة (وتتضمن الرحمة والرأفة والنعمة والحنان...الخ). ولايمكن أن الله عز وجل يعمل عملا إلا إذا كان متوافقاً مع طبيعته في الناحيتين

التزام حدود المكتوب

عندما نتأمل فى حقيقة الله غيرالمحدود وغير المدرك - فى جوهره، وأقانيمه، وطبيعته، وصفاته يجب ان نحرص كل الحرص على التزام حدود الإعلان الإلهي بكل دقة، وأن لا نرتئى فوق ما هو مكتوب أو نضيف أى شىء من أنفسنا، لئلا يضل العقل فى متاهات الخيال، سيما وأن الشيطان لنا بالمرصاد ليوقعنا فى حبائل الكفر أو المساس بجلال الذات القدسية بأى شكل من الأشكال.

الإيمان الحقيقى مركزه القلب

ليس الإيمان الحقيقى اقتناعا عقلياً بمبادىء صحيحة، والاعتراف بها، والدفاع عنها، بل هو الثقة التامة باعلان الله عن ذاته وطبيعته في كلمته وهذا

الإيمان يسكن فى القلب فيشبعه، ويسعده، ويملأه سلاماً، لأنه يربطه بالله بعلاقة محبة وثيقة حية كابن لأبيه. فالعقل يحتاج إلى أن يستريح والنفس تحتاج إلى أن تشبع وتفرح، ولا يشبعها غير الله لأنها منه. وقد عبر أحدهم عن حاجة كل من العقل والقلب بقوله «القلوب به هائمة، والعقول فيه حائرة». فلا العقل مستريح، ولا القلب شبعان بدونه. وكتب آخر كتاباً عنوانه «تهافت التهافت» ونحن نشكر الله لأنه أعطانا ما تتهافت اليه قلوبنا، فملأها نوراً وسروراً «لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح» (كورنثوس الثانية ٤:٦).

كما نشكر الله لأننا مارسنا إيماننا عملياً فتحقق لنا بصورة واقعية إذ نلنا اليقين بالغفران والتبرير والخلاص. «لأن القلب يؤمن له للبر (أى للحصول على البر) والفم يعترف به للخلاص» (رومية ١٠:١٠). واطمأنت قلوبنا إلى مصيرنا الأبدى السعيد فى المجد على أساس موت المسيح لأجلنا، واحتماله دينونة خطايانا على الصليب، كما أن نفوسنا امتلأت هناء واكتفاء، عبر عنه بعض المؤمنين بقولهم «لايعوزنى شىء» وأيضاً «قلت للرب سيدى خيرى

لا شيء غيرك» (مزامير ٢٣،٧٣،١٦) وأيضا «يسوع المسيح الذي وإن لم تروه تحبونه.. وتؤمنون به فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد (١بط ١:٨).

ثم إن الإيمان القلبي الحى يثمر أعمالا صالحة فى الحياة العملية «وأما ثمر الروح فهو محبة. فرح سلام. طول أناه لطف. صلاح. إيمان وداعة تعفف» (غلاطية ٥:٢٢، ٢٣). وهو أيضا يعطي للمؤمن النصرة على الخطايا والشهوات، ومحبة المال والماديات ويجعله يسلك سلوكاً سماوياً وهو على الأرض.

هذا وقد اختبرنا إلهنا الذي نؤمن به، بكيفية لا يسهل علينا التعبير عنها إلا بأن نقول للآخرين «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مزمور٣٤:٨) فمع أن الله عظيم بلا حدود، ويدير الأكوان، إلا أنه يسمع صلوات المؤمنين به، وينقذهم من كل ضيقاتهم ويهتم بدقائق أمورهم، لدرجة أن قال المسيح «وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة» (متى ١٠:٣٠). ونجد القول المشجع «لاتخف» في الكتاب المقدس بمعدل مرة لكل يوم من أيام السنة تقريبا ونجد أقوالا كثيرة أخرى مثل «لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله. وسلام لله الذى يفوق كل عقل

يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع» (فيلبى ٦:٤و٧). وأيضاً «ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتنى بكم» (بطرس الأولى ٥:٧).

كما أن المؤمن عندما يدخل روحياً ليسجد في مقادس الله، فى شركة عميقة معه، يختبر لذة وسعادة تفوق كل وصف ولذلك يقول أحدهم «تشتاق بل تتوق نفسى إلى ديار الرب، قلبى ولحمى يهتفان بالإله الحى» (مزمور٨٤:٢). ويقول داود النبى والملك «واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لكى أنظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله» (مزمور٢٧:٤). ويقول أيضا «أمامك شبع سرور» (مزمور١٦:١١). وأيضاً «كما من شحم ودسم تشبع نفسى وبشفتى الابتهاج يسبحك فمي» (مزمور٦٣:٥).

حذار أيها الصديق المسيحى العزيز أن تكتفي بأن تكون مسيحياً بالاسم فقط، دون أن تختبر الحياة الجديدة فى المسيح، وسكنى الروح القدس فيك . إن الإيمان الذى لا يجدد الحياة، ويغير السلوك، ويفتح القلب للمسيح ليحل فيه ويملأه، هو إيمان فارغ وميت لايغنى شيئاً، بل هو شبيه بمصباح لا زيت فيه ولا نور له، أو كغصن جاف لا حياة فيه ولا ثمر له.

أدعوك أيها الصديق الآن أن تأتي بقلبك إلى المسيح فيخلصك من كل خطاياك ومشاكلك، ويسعدك حاضراً وأبدياً، فقد قال بفمه الكريم «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم» (متى١١:٢٨).

المسيح

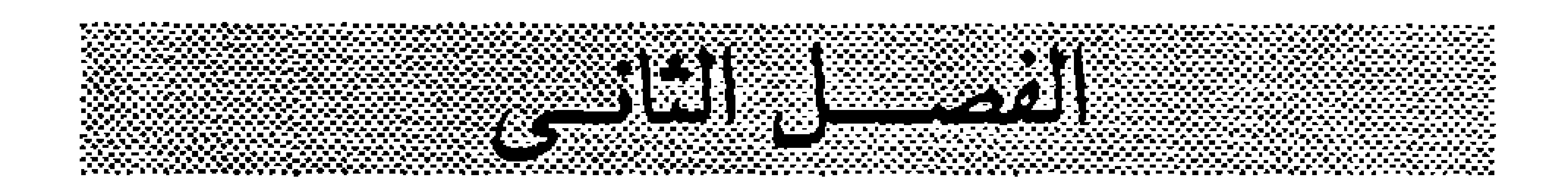
بذل نفسه لأجلنا

لكي يفدينا من كل إثم

ويطهر لنفسه شعباً خاصاً

غيوراً في أعمال حسنة

تي ٢ : ١٤



المسيح هو ابن الله .
هل هذا معقول؟

رأينا في الفصل السابق أن الله الواحد ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس، فالابن اقنوم إلهى أزلى. وموضوعنا الآن هو اسم «الابن» وما يقصد به، وهذا نجده معلناً بوضوح فى عدة فصول في الكتاب المقدس. وقبل كل شيء يجب أن نستبعد من أذهاننا بالتمام فكرة «الولادة» فالابن ليس مولوداً من الله في الأزل - لا ولادة روحية ولا طبيعية كما هو موجود فى بعض الديانات الوثنية كديانة قدماء المصريين وغيرهم حيث يوجد إلاهات زوجات للآلهة وبناء عليه يوجد أبناء للآلهة، وهذا ما يعترض عليه الإسلام أن يكون لله ابن من «صاحبة». ولكن المسيحية بعيدة كل البعد، وسامية كل السمو عن هذا التفكير، إذ هى ديانة روحية من كل الوجوه - فى عبادتها «نعبد الله بالروح .. ولا نتكل على الجسد» (فيلبى ٣:٣)، وسلوكها بالروح «اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد» (غلاطية ٥:١٦»، وبركاتها «روحية في السماويات» (أفسس ١:٣)، والتمتعات الموعود بها المؤمنون تمتعات روحية سماوية لا

أرضية، وكذلك بنوة الابن الأزلية بنوة روحية فريدة تدل على المحبة، والمقام، والمعادلة للآب، واعلان مجده وصفاته.

فأقنوم الابن هو المعلن لله الذى لايمكن أن يعلنه سواه «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو فى حضن الاب (أى موضوع محبته - «ابن محبته» كولوسى ١:١٣) هو خبر» أى أعلن الله (يوحنا ١:١٨). الله الذى لا يمكن رؤيته يصبح من الميسور لنا رؤيته ومعرفته فى أقنوم الابن «الله الذى ظهر في الجسد» (تيموثاوس الأولى٣:١٦) «لإنارة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (كورنثوس الثانية ٤:٦) الذي هو «بهاء مجده ورسم جوهره» (عبرانيين ١:٣). وهو «صورة الله» (كولوسى ١:١٥) لذلك قال لفيلبس (الذي رآني فقد رأى الآب.. صدقوني أنى في الآب والآب فى» (يوحنا ١٤:٩و١١).

ومدلول اسم «الابن» كمدلول «الكلمة» من حيث اعلان الله، فنقرأ «في البدء (الأزل) كان الكلمة.. وكان الكلمة الله» ثم نقرأ «والكلمة صار جسداً وحل بيننا» لكى يعلن الله (يوحنا١:١و١٤).

وبنوة المسيح الأزلية شهد بها الكتاب فى العهد القديم أيضاً. وأول اعلان عن ذلك نجده فى المزمور الثاني مرتين حيث نقرأ «قال أنت ابنى» وأيضا

«قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق» (عدد ٧ و٢٢) ثم فى أمثال ٣٠:٤ «ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت». وكان اليهود يعرفون أن البنوة تعنى المعادلة لله، لذلك أرادوا أن يقتلوا المسيح لأنه قال «إن الله أبوه معادلا نفسه بالله» (يوحنا ٥:١٨). ومرة أخرى عندما قال «أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى» تناولوا حجارة ليرجموه قائلين «إنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً» لأنه قال «أبى» (يوحنا ١٠:٢١ - ٣٢). وقال له رئيس الكهنة عند محاكمته «أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع أنا هو» (مرقس١٤:٦١و٦٢) وقد ورد اسم «الابن» فى الكتاب المقدس أربعين مرة بخلاف ما ذكر مضافاً إلى الضمائر كقول الله «ابنى» وقول الوحى «أرسل ابنه» وذكرت كلمة «الابن الوحيد» خمس مرات فى انجيل يوحنا وفي رسالته الأولى. ولسمو مقام الابن ومعادلته للآب يقول الرسول يوحنا «كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضاً. ومن يعترف بالابن فله الآب أيضاً» (الرسالة الأولى ٢:٢٣).

ويقول الله فى المزمور الثانى «أنت ابنى» أزلياً بلا بدء ولا كيفية لهذه البنوة - لا ولادة ولا خلق. ثم يقول «أنا اليوم ولدتك» وذلك بالتجسد مولوداً من العذراء مريم. وقوله «أنا اليوم ولدتك»

دليل على وجوده أزلياً قبل التجسد. ونجد هذا أيضاً في القول «لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً» (غلاطية ٤:٤). وأيضا «أرسل الله ابنه فى شبه جسد الخطية» أى فى جسد مثلنا ولكن خال من الخطية (رومية٨:٣) وهذه البنوة الأزلية تفوق العقل البشرى لذلك يقول المسيح له المجد «ليس أحد يعرف الابن إلا الآب» (متى ١١:٢٧).

فللمسيح إذن بنوتان - البنوة الأزلية التى تكلمنا عنها، وبنوته فى الزمان بولادته من العذراء مريم حيث نقرأ قول الملاك جبرائيل لمريم «الروح القدس يحل عليك. وقوة العلى تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لوقا١:٣٥). وهذه البنوة تختلف عن بنوة كل البشر والملائكة لله كمخلوقاته، وتختلف أيضاً عن بنوة المؤمنين الروحية لله كمن أخذوا طبيعته الأدبية «كل من يصنع البر مولد منه» (رسالة يوحنا الأولى ٢:٢٩). ولذلك يدعى المسيح «ابن الله الوحيد» وأيضاً «ابن واحد حبيب إليه» (مرقس ١٢:٦). أما عن المؤمنين فيقال «أبناء كثيرين» (عبرانيين ٢:١٠) ولا يقول المسيح لتلاميذه: أصعد إلى أبينا، بل «إلى أبي وأبيكم» (يوحنا ٢٠:١٧) لأن بنوته متميزة. والمؤمنون يدعون «أولاد الله» (يو ١:١٢،١يو ٣:١و٢) وأيضاً

«أبناء الله» (غلا ٣: ٦). أما المسيح فيقال له «ابن الله» فقط. فلا يقال: الوالد والولد. بل «الآب والابن». والمسيح وحده هو الذى يدعى «ابن الآب» (رسالة يوحنا الثانية عدد ٣) لأن بنوته للآب أزلية «قبل كون العالم» (يوحنا ١٧: ٥).

ولا يجوز الخلط بين بنوة المسيح فى الأزل، وبنوته بناسوته بالولادة من العذراء. ويشار إلى البنوتين معاً في المزمور الثانى، فالقول «أنت ابنى» يشير إلى وجوده الأزلى كأقنوم إلهى، والقول «أنا اليوم ولدتك» يشير إلى بنوته لله بطبيعته الناسوتية الكاملة.

ونلخص فيما يلى بعض معاني بنوة الابن للآب:

١- تدل على المحبة الأزلية الفريدة (يوحنا ٥: ٢٠، ١٧: ٢٤، كولوسى ١: ١٣، رسالة يوحنا الثانية ٣).

٢- تدل على الوحدة في الصورة الإلهية (كورنثوس الثانية ٤: ٤، فيلبى ٢: ٦، كولوسى ١: ١٥، عبرانيين ١: ٣، يوحنا ١٤: ٩).

٣- تدل على المعادلة لله (يوحنا ٥: ٧، ١٠: ٢٣).

٤- تدل على المقام الإلهى (يوحنا ٥: ٢٣، رسالة يوحنا الأولى ٢: ٢٣).

٥- تدل على الوحدانية فى جوهر اللاهوت «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠:٣٠).

٦- تدل على أنها وحدانية فريدة لا مثيل لها (يوحنا ١:١٨).

٧- تدل على أنها وحدة سرية فائقة «ليس أحد يعرف الابن الا الآب» (متى ١١:٢٧).



الفصل الثالث

المسيح ليس نبياً مرسلاً فقط بل هو الله ظاهراً في الجسد

أوضحنا فى الفصل الأول أن الله ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس. وأوضحنا فى الفصل الثانى أن الابن هو الأقنوم الإلهى الذي أعلن الله ولم يكن ممكناً أن يعلنه سواه لأنه «المعادل لله».بل هو «صورة الله» «ورسم جوهره». وفى هذين الفصلين، بما فيهما من أدلة كثيرة، كل الكفاية لاثبات لاهوت الابن. ولكننا نريد فى هذا الفصل أن نبين بنوع خاص أن المسيح الذى ولد من العذراء مريم «صائراً فى شبه الناس»، وعاش هنا على الأرض «فى الهيئة كإنسان»، فجاع، وعطش، وتعب من السفر، ونام فى السفينة، وأهين من البشر هو نفسه الذى «حل فيه ملء اللاهوت جسدياً» فكان بناسوته متحيزاً، وبلاهوته يملأ السماء والأرض، متحداً مع الآب والروح القدس. وهذا سر عظيم «عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد» (تيموثاوس الأولى ٣:١٦).

لو أن المسيحيين أرادوا أن يتفادوا هذه المشكلة العويصة لكان من اليسير عليهم أن يقولوا أن المسيح

كان نبياً مرسلا من الله أو أنه أفضل الأنبياء والمرسلين، ولا يقولون إنه هو الله نفسه جاء إلى هذا العالم. ولكن ليس الأمر بيدهم لأنهم لم يصوغوا إيمانهم لأنفسهم بل قبلوه من الإعلان الإلهى فى الكتاب المقدس، وهو إعلان صادق (كما سنبين فى الفصل الخامس) سواء استطعنا أن نستوعبه أم لم نستطع، ولكن شكراً لله لأنه مستوعب ومعقول ويملأ القلب راحة وسلاماً.

إن الصعوبة الكبرى تتجسم أمام الذين ينظرون إلى أن ولادة المسيح هى بدء وجوده كأى إنسان آخر، بينما لو أمعنوا النظر لرأوا أن نفس ولادته بالجسد لم تكن ولادة عادية كسائر البشر بل كانت من عذراء لم يمسها رجل. ولم يتكون جسده الطاهر من زرع بشر بل من روح الله - جسد مكتوب عنه منذ القديم «هيأت لى جسداً». فالنظرة الصحيحة هى أنه أقنوم إلهى كائن منذ الأزل ولكنه فى الوقت المعين اتخذ ناسوتاً طاهراً ليس له مثيل إذ هو له بكيفية معجزية فريدة - اتخذه ليجيء إلى العالم، ظاهراً فى الجسد لغرض عظيم وهو تمجيد الله الذى أهانه الإنسان بعصيانه، والتكفير عن خطايا البشر، كما سنبين ذلك بالتفصيل فى الفصل التالى. وعبارة «ظهر فى الجسد» تفيد سابق وجوده قبل ظهوره (*) اذ

لا يمكن أن يقال هذا عن أى إنسان، لأن كل إنسان قد بدأ وجوده عند ولادته.

أما المسيح الذى ولد فى بيت لحم من العذراء مريم فمكتوب عنه قبل ولادته بمئات السنين «وأما أنت يابيت لحم .. فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً ... ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» (ميخاه ٥:٢). ونقرأ «الكلمة كان عند الله. وكان الكلمة (الابن) الله ... والكلمة صار جسداً» (يوحنا١:١و١٤)، وهنا نرى لاهوت الابن السابق لناسوته. ونقرأ فى إشعياء ٩:٦ قبل ولادة المسيح بسبعمائة سنة «لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً (المسيح عندما يولد من العذراء) ... ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً» (الله القدير - المسيح فى مقامه الإلهى). واسمه العجيب المشار اليه هنا هو «عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا» (متى١:٢٣) أى الله ظهر بين البشر. واسمه أيضاً «يسوع» (متى١:٢١» وهى كلمة عبرانية معناها «الله المخلص». فكلا الاسمين اللذين دعى بهما عند ولادته يدلان على لاهوته.

(*) ونستدل على ذلك أيضا من القول عن المسيح «صالحكم الآن فى جسم بشريته» (كولسى ١:٢٢) فقد كان بلاهوته أزلا، ثم جاء «فى جسم بشريته».

إن الصعوبة تبدو لمن ينظر إلى المسيح كإنسان جعله المسيحيون إلهاً، بينما الحقيقة هى العكس، أنه الله تنازل ليصير إنساناً محتفظاً فى نفس الوقت بلاهوته - وهذا بحسب قدرته الفائقة. والتنازل هو من حقه الذى لا اعتراض عليه، لأنه يمكن الاعتراض على من يرفع نفسه فوق حقيقته، أما العالى الرفيع إذا تنازل واتضع فهذا مما يمجده فى عيوننا سيما وأن هذا التنازل هو من أجلنا.

ولزيادة التأكيد نأتى بعدة شواهد أخرى من الكتاب المقدس تؤكد لاهوت المسيح بما لا يدع مجالا للشك، فقد ذكر عنه بصريح العبارة أنه الله «وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور» (عبرانيين١، مزمور٤٥). وأيضا «صعدت إلى العلاء سبيت سبياً قبلت عطايا بين الناس ... أيها الرب الإله» (مزمور٦٨:١٨) والذى فعل هذا هو المسيح (أفسس٤:٨و٩) ومكتوب أيضاً «صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب. قوموا فى القفر سبيلا لإلهنا» (أشعياء٤٠:٣) ويقال هنا «الرب» و«إلهنا» عن المسيح الذى أعد المعمدان طريقه (يوحنا١:٢٣) وقال المسيح نفسه «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (أى يهوه الأزلى) (يوحنا ٨:٥٨) ويقول عنه بولس «الكائن على الكل إلهاً مباركاً (الله المبارك) إلى

الأبد» (رومية٩:٥). ويقول يوحنا «يسوع المسيح .. هذا هو الإله الحق (الله الحقيقى) والحياة الأبدية» (يوحنا الأولى٥:٢٠) وأيضاً «لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (كورنثوس الأولى٢:٨) ويقول المسيح «أبنى كنيستى» (متى١٦:١٨) بينما فى أعمال ٢٠:٢٨ نقرأ «كنيسة الله». وقال له توما «ربى وإلهى» (يوحنا ٢٠:٢٨). ومكتوب أيضاً «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح» (أو إلهنا ومخلصنا العظيم يسوع المسيح) (تيطس٢:١٣) وهو أيضاً «رب الأرباب وملك الملوك» الذى هو اسم الله وحده (تثنية١٠:١٧).

كما نسبت إلى المسيح فى الكتاب المقدس أعمال إلهية وصفات إلهية، منها أنه خالق كل شىء: «كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان» (يوحنا١:٣). وأيضاً «الكل به وله قد خلق» (كولوسى١:١٦) وأيضاً «الذى به (بالمسيح) أيضاً عمل العالمين... بهاء مجده ورسم جوهره» (عبرانيين١:٢). وأيضاً «كان فى العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم» (يوحنا١:١٠).

وهو أيضاً «القادر على كل شىء» (رؤيا١:٨). «الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده ... بحسب عمل استطاعته أن يخضع

لنفسه كل شيء» (فيلبى ٢١:٣). وهو «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عبرانيين ٣:١).

وهو العليم بكل شيء، فقد «قال له تلاميذه .. نعلم أنك عالم بكل شيء» (يوحنا١٦: ٣٠). وقال له بطرس «يارب أنت تعلم كل شيء (*)» (يوحنا٢١: ١٧) وهو «الفاحص الكلى والقلوب» (رؤيا٢: ٢٣). وهذه صفة الله وحده (أرميا١٧: ١٠)

وهو الأزلى الأبدى الذى لايتغير. ونضيف إلى الشواهد السابقة عن ذلك ما يأتى: «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عبرانيين ١٣: ٨) وقيل عن المسيح الذى كانت أيامه قصيرة على الأرض. والسموات هى عمل يديك. هى تبيد وأنت تبقى ... أنت هو وسنوك لن تنتهى» (مزمور١٠٢: ٢٥-٢٧).

(*) قال المسيح لتلاميذه «لماذا تفكرون بهذا فى قلوبكم» (مرقس ٢: ٨) فكان يعرف آراء القلوب. وقال للمرأة السامرية «كان لك خمسة أزواج والذى لك الآن ليس هو زوجك» (يوحنا ٤: ١٨). ومكتوب أيضاً أن «يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذى يسلمه» (يوحنا ٦: ٦٤) وقال لنثنائيل «قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك» (يوحنا ١: ٤٨).

وهو الموجود فى كل مكان وزمان، فقد قال «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة فهناك أكون فى وسطهم» (متى ١٨ : ٢٠). وأيضا «وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨ : ٢٠). وهذه صفة الله وحده. «أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب» (إرميا ٢٣ : ٢٤) ..

وهو الذى يقبل أرواح المنتقلين كما صلى إليه استفانوس «أيها الرب يسوع اقبل روحى» (أعمال ٧ : ٥٩) وهو الذى يقيم الأموات كما قال بفمه الكريم «كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» (يوحنا٦ : ٣٩). وهو «العتيد أن يدين الأحياء والأموات» (تيموثاوس الثانية٤ : ١) «وهو الذى يغفر الخطايا» (لوقا٥ : ٢٠، ٧ : ١٧) ويعطى الحياة الأبدية (يوحنا١٠ : ٢٨). وهذان من اختصاص الله وحده.

وقد شهد له نثنائيل قائلا «أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل» (يوحنا١ : ٤٩). وقالت مرثا التى أقام المسيح أخاها «أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم » (يوحنا١١ : ٢٧). وقال بطرس الرسول «أنت هو المسيح ابن الله الحى» (متى ١٦ : ١٦).

إن المسيحيين لا يؤلهون الإنسان، ولا يؤلهون ناسوت المسيح، لأنه كان ناسوتاً محدوداً متحيزاً (أى لا يوجد إلا فى مكان واحد فى وقت واحد) ولكنهم يؤمنون أن هذا الناسوت كان «يحل فيه ملء اللاهوت» بغير اختلاط أو امتزاج (كولوسى١:١٩، ٩:٢). فالمسيح له المجد هو «الله (الذى) ظهر فى الجسد»، فكان فى هذا العالم إنساناً كاملا - كامل الإنسانية، وفى نفس الوقت كان ولايزال بلاهوته يملأ السموات والأرض. فكانت له طبيعتان، طبيعة إنسانية منزهة عن الخطية ولكن لها خصائص الإنسان الذى يجوع ويعطش ويتعب ويتألم، وطبيعة إلهية ظهرت فى الوقت نفسه فى علمه بكل شىء، وقدرته على كل شىء كما رأينا(*) ويشار إلى الطبيعتين معاً فى عدة آيات من الكتاب المقدس : منها «كرسيك يا الله الى دهر الدهور (طبيعته الإلهية) ... من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج» (طبيعته الإنسانية) (مزمور ٤٥:٦و٧) وأيضا «الإنسان الثانى (طبيعته الإنسانية) الرب من السماء» (طبيعته الإلهية)

(*) فقد نام على وسادة فى مؤخر السفينة (كإنسان). ولما أيقظوه «قام وانتهر الريح وقال للبحر. اسكت. ابكم. فسكنت الريح وصار هدوء عظيم» (مرقس ٤:٢٨، ٢٩).

(كورنثوس الأولى ١٥:٤٧). وعدم فهم هذه الحقيقة هو الذى يثير اعتراضات كثيرة، فعندما يقرأ البعض الآيات التى تتكلم عن طبيعة المسيح الإنسانية) أو عن كون الله أعظم منه، يقولون لأول وهلة: إذن المسيح إنسان فقط. ولكن إذا وضعنا فى أذهاننا الحقيقة السامية الفائقة الإدراك المعلنة فى الكتاب المقدس وهى أن المسيح هو الله وإنسان معاً، زالت الصعوبة تماماً. وهذه الحقيقة لا يقبلها إلا الإيمان، ومع ذلك فهى حقيقة معقولة لها ما يبررها كما سنرى فى الفصل التالى. وإليك أمثلة من الآيات التى تدل على طبيعة المسيح الإنسانية التى بها يعثر كثيرون:

«الهى الهى لماذا تركتنى» (مزمور٢٢:١). وأيضا «انى أصعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم» (يوحنا٢٠:١٧). وأيضا «أبى أعظم منى» (يوحنا١٤:٢٨).

آراء بعض العلماء غير المسيحيين

قال الشيخ أبو الفضل القرشى عن المسيح فى هامشه على تفسير البيضاوى جزء ٢ صفحة ١١٢: «يمكن يكون المراد أن اللاهوت ظهر فى المسيح،

وهذا لايستلزم الكفر، وأنه لا إله إلا الله».

وقال الإمام أحمد بن حائط «المسيح تدرع بالجسد الجسماني، وهو الكلمة القديمة كما قالت النصارى فى الآخرة».

وجاء فى كتاب «البداية والنهاية» جزء ٢ صفحة ١٠٠ أنه عندما زارت العذراء مريم امرأة زكريا الكاهن قالت هذه لها « وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك».

وقال المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه «الله» صفحة ١٥٩ «جاء السيد المسيح بصورة جميلة للذات الإلهية». وصورة الذات الإلهية لا يمكن أن يأتى بها إلا من هو الله نفسه. وقد جاء فى الكتاب المقدس أن المسيح «صورة الله» (كورنثوس الثانية ٤:٤، كولوسى ١٥:١).

وقال الإمام الغزالى : «ان كلمة مطاع الوراد ذكرها فى الآية «مطاع ثم آمين» يراد بها موجود غير الذات الإلهية المنزهة، وهو يحرك الأفلاك، ويدبر الكون، وعن طريقه يتوصل العبد إلى معرفة الموجود المنزه عن كل ما أدركه البصر والبصيرة وهذا الموجود ليس هو الله، ولكنه أيضا ليس شيئاً غير الله. بل أن نسبته إلى الله هى نسبة الشمس إلى النور المحض. وهو أيضاً العقل الإلهى الظاهر أثره

فى الوجود، والذى به يتلقى الإنسان الوحى والإلهام». ومعنى هذه الأقوال أن «المطاع» هو «الله متجلياً»، الأمر الذى ينطبق على أقنوم «الكلمة» الذى أعلن الله، وهو يحرك الأفلاك ويدبر الكون.

وقال الشيخ محيى الدين العربى: «القطب هو الأصل الذى يستمد منه كل علم إلهى. وهو عماد السماء الذى يدبر الأمر فى كل عصر. ويدعى حقيقة الحقائق. ويدعى العقل الأول أو الروح الأعظم. وهو باطن الألوهية، والألوهية ظاهرة، وهو الحق أو الله متجلياً لا فى زمان أو مكان معين. وهو العقل الإلهى الذى هو عين الذات لا غيره. وهو أول تجل للحق بعد مرتبة التنزيه المطلق. وأول صورة ظهر فيها الحق وخاطب نفسه. وهو لا يقبل التعريف أو التحديد. وهو العلم الإلهى بمعنى أنه العلم والعالم والمعلوم. وهو كمال محض. وتعزى إليه قوة الخلق والتدبير». وقال أيضاً : «الكلمة هى الله متجلياً فى زمان معين أو مكان. وإنها عين الذات الإلهية لا غيرها». وكيفما كان قصد الشيخ العربى من كلمة «القطب» فانه استساغ بفلسفته أن يسند اليه كل هذه الأوصاف ولا يقول أحد أنه كفر. أما نحن المسيحيين فنجد كل هذا فى الكتاب المقدس مسنداً إلى المسيح الذى هو الكلمة وهو خالق كل الأشياء، وهو الذى

يدبر الأمر فى كل عصر، وهو الله متجلياً. وهو عين الذات الإلهية لا غيره. وهو كمال محض، وهو الذى به نتصل بالله.

وحدانية الأقانيم
فى الذات الإلهية
وفي كل صفات اللاهوت وخواصه

تكلمنا بإسهاب عن لاهوت المسيح - ابن الله - لأنه هو الذى يكثر فيه التساؤل. ولابد لنا الآن، وإن كنا قد أشرنا إلى ذلك قبلا، أن نبين أن الأقانيم الثلاثة هم الذات الإلهية الواحدة، واحد فى اللاهوت بكل خصائصه وصفاته ولا أسبقية لأقنوم على أقنوم وإن بدا ذلك، لأول وهلة من أسماء الأقانيم . ويخطىء الذين يقولون : الأقنوم الأول، والثانى، والثالث، لأنه لايوجد ترتيب لذكر الأقانيم في الكتاب المقدس بل يذكر الآب أولا مرة، والابن أولا مرة أخرى، والروح القدس أولا مرة غيرها، وهكذا. كما أن أسماء الأقانيم لا تدل على أسبقية الآب عن والابن مثلا، أو اشتقاق الروح القدس من الآب والابن. حاشا. لأن اسماء الأقانيم تدل على التعادل، وعلى العلاقة الروحية الأزلية، (يوحنا ١٤:٢١). والروح القدس «روح المحبة» (رومية ١٥:٢٠، تيموثاوس الثانية ١:٧). ولايقال عن الآب الوالد بل

الآب لأن أبوة الآب للابن هى علاقة محبة روحية سامية كما سبق القول، إذ أن الله بأقانيمه الثلاثة محبة «الله محبة». وقد ظهرت هذه المحبة بكمالها للبشر فى ارسال الآب للابن كفارة عن خطايانا. وفى تطوع الابن ببذل نفسه كفارة من أجلنا، وذلك بروح أزلى.

وقد قيل فى الكتاب المقدس عن الآب أنه الله «الله أبونا» (تسالونيكى الثانية ٢:١٦). وقيل أننا باللسان «نبارك الله الآب» (يعقوب ٣:٩» ولا جدال فى لاهوت الآب. أما لاهوت الابن فقد أوردنا عنه آيات كثيرة جداً فى هذا الفصل. بقى أن البعض لا يدركون أقنوميته ويتصورون أنه قوة أو تأثير أو صفة من صفات الله، والبعض عن بساطة يتكلمون عنه بصيغة التأنيث فيقولون مثلا «حلت» الروح» أو «الروح التى»...

أقنومية الروح القدس ولاهوته

الروح القدس له كل المميزات والصفات الالهية:

١- فهو كلى العلم «يفحص كل شىء حتي أعماق الله وأمور الله لايعرفها أحد إلا روح الله» (كورنثوس الأولى ٢:١٠و١١).

٢- وهو يفعل كما يشاء (كورنثوس الأولى ١٢:١١).

٣- وهو أزلى (عبرانيين ٩:١٤).
٤- ويعرف المستقبل ويخبر به (لوقا ٢:٢٦، يوحنا ١٦:١٣).
٥- وهو كلى القدرة (رومية ١٥:١٩).
٦- وهو القدوس وهذه صفة الله وحده (أفسس ٤:٣٠ - انظر رؤيا ٤:٨).
٧- وهو الحق «الروح هو الحق» (يوحنا الأولى ٥:٦).
٨- وله ينسب الخلق (أيوب ٢٢:٤، مزمور ٢٣:٦، مزمور ١٠٤:٣٠).
٩- وهو موجود فى كل مكان (مزمور ١٣٩:٧و٨) وهو يسكن فى جميع المؤمنين فى كل زمان ومكان (يوحنا١٤:١٧، أفسس ١:١٣).
١٠- وهو المحيى (يوحنا ٦:٦٣، كورنثوس الثانية ٣:٦، رومية٨:١١).
١١- وهو مصدر الوحى «تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (بطرس الثانية ١:٢١).
١٢- ويذكر صراحة أن الروح القدس هو الله، فقد قال بطرس لحنانيا «لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس ... أنت لم تكذب على الناس بل على الله» (أعمال ٥:٤).

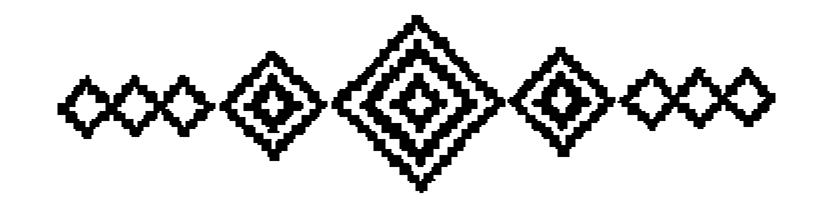
أما بخصوص كون الروح القدس أقنوماً، يتكلم ويسمع ويخبر ويحب، ويحزن، وليس مجرد قوة أو تأثير فيكفى أن نورد الشواهد الآتية: «قال الروح القدس أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل» (أعمال ٢:١٣). «روح أبيكم ... يتكلم فيكم» (متى ٢٠:١٠). «ومتى جاء ذاك روح الحق.. كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية» (يوحنا ١٣:١٦) ومكتوب أيضاً «أطلب إليكم أيها الاخوة ... بمحبة الروح» (رومية ٣٠:١٥). ويقول الرسول بولس «لاتحزنوا روح الله القدوس» (أفسس ٣٠:٤).

أقوال بعض العلماء الموحدين عن الروح القدس

قال عبد الكريم الجبيلى مجلة كلية الآداب - مايو سنة ١٩٢٤) «روح القدس غير مخلوق» ولا يوجد كائن غير مخلوق إلا الله.

وقال الإمام الرازى فى تفسيره جزء ٥ صفحة ٥٢١ «روح الله هو سبب الحياة». وسبب الحياة هو الله. وقال الزمخشرى فى تفسيره جزء ١ صفحة ١٦٢ «روح الله هو الاسم الأعظم هو اسم الله. وقال محمد بيومى الحريرى «روح القدس هو روح الأرواح. وهو المنزه عن الدخول تحت حيطة القول

«كن» (الذى كان الله يخلق به المخلوقات). ومن ثم لا يجوز أن يقال فى الروح أنه مخلوق، لأنه وجه خاص من وجوه الحق (الله) قام الوجود بذلك الوجه. فهوِ روح لا كالأرواح لأنه روح الله. وذلك الروح هو المعبر عنه بالوجه الإلهى فى الآية «فأينما تولوا فثم وجه الله». وهذا يطابق ما جاء فى مزمور ١٣٩.



الفصـــل الرابع

المسيح وهو الله
ظاهراً في الجسد ،
مات مصلوباً ..
هل هذا معقول؟

عرفنا من الفصول السابقة أن الله الواحد ثلاثة أقانيم، وأنه مكتف بذاته ويمارس صفاته مع ذاته أزلياً، فى وحدة ومحبة فائقة الإدراك بين الأقانيم الثلاثة. عرفنا الله، لا كما صورته لنا عقولنا، بل كما أعلن ذاته لنا فى كتابه المقدس، وفى أقنوم الابن الذى جاء متجسداً إلى هذا العالم ليعلن الله ومعرفة الله هى أعظم وأثمن شيء فى الوجود. ولكن هنا يأتى السؤال الهام: فهل نستطيع أن نصل إلى الله الذى عرفناه، ونقترب منه، وننال الحظوة لديه؟ هل يمكن أن تكون لنا شركة معه ونحن هنا على الأرض، وأن نساكنه فى الأبدية التى لانهاية لها؟ الجواب كلا. لأنه قدوس، كلى القداسة، ونحن خطاة نجسون كل النجاسة. هذا فضلا عن أنه تعالى قد أصدر علينا حكماً بالموت الأبدى نتيجة لعصياننا عليه، ومن أين لنا أن نتخلص من هذا الحكم من جهة، وأن نتوافق مع قداسته من الجهة الأخرى؟

إن ملائكته اللامعين القديسين الذين لم يخطئوا يغطون وجوههم أمامه، لا بالنسبة لمجده وجلاله فقط، بل بالنسبة لقداسته الفائقة، إذ وهم يغطون وجوههم ينادون قائلين «قدوس قدوس قدوس(*) رب الجنود» (اشعياء ٦: ٢و٣)، فكيف يمكن أن يقترب منه الإنسان الخاطيء؟ وهذا ما شعر به أصحاب أيوب قديماً فقال أحدهم «إلى ملائكته ينسب حماقة فكم بالحرى سكان بيوت من طين الذين أساسهم فى التراب» (أيوب ٤: ١٨و١٩).

وقال آخر «السلطان الهيبة عنده ... فكيف يتبرر الإنسان عند الله... هوذا نفس القمر لا يضيء والكواكب غير نقية فى عينيه. فكم بالحرى الإنسان الرمة وابن آدم الدود» (أيوب ٢٥: ٢-٦). وإذا كنا لا نستطيع أن نصل إلى الله فما الفائدة من معرفته؟ إنها لا تزيدنا إلا حسرة وألما. ولكن شكراً لله لأنه وجد حلا وحيداً لهذه المشكلة المستعصية. وقبل أن نوضح هذا الحل الإلهى لابد أن نشير إلى حقيقة حالنا

(*) لعل فى المناداة بقداسته ثلاثا أشارة الي الأقانيم الثلاثة الذين هم رب واحد «رب الجنود» أى رب القوات السماوية.

كبشر كما يكشفها لنا الله فى كتابه المقدس، لنرى البعد الشاسع والهوة السحيقة بيننا وبين الله، وكيفية السبيل إلى عبورها.

حقيقة حالنا كبشر خطاة

لقد خلق الله الإنسان فى حالة البرارة والطهارة كما هو مكتوب «أن الله صنع الإنسان مستقيماً» (جامعة ٧: ٢٩). ولكنه عصى الله وتعدى الوصية الوحيدة التى أعطاها له، فوقع تحت طائلة القصاص الذى أصدره الله وأنذره به مقدماً قائلا «يوم تأكل منها (أى من شجرة معرفة الخير والشر) موتاً تموت» (تكوين ٢: ٧). وهذا الموت ثلاثى: موت روحى، وموت جسدى، وموت أبدى. الموت الروحى هو الانفصال عن الله، وهذا ما حدث بمجرد السقوط في الخطية، إذ شعر آدم وحواء بعدم توافقهما مع محضر الله، فاختبأ «فى وسط شجر الجنة» قبل أن يطردهما الله منها. وهذا الموت الأدبى سرى فى كيانهما مفسداً طبيعتهما، وتوارثه نسلهما كما هو مكتوب «بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم. وبالخطية الموت. وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رومية ٥: ١٢). وقد شهد بذلك داود النبى إذ قال: «هأنذا بالإثم صورت

وبالخطية حبلت بى أمى» (مزمور ٥١:٥). وشهد بذلك بعض العلماء فقال إرسطو «إن أكثر أعمال الإنسان محكومة بالعواطف والشهوات. لذلك فإنه يقع فى الخطأ مهما علم العقل بضرره. فالإنسان يفكر جيداً ويرشده فكره إلى الصواب، لكن تتغلب عليه شهوته فتغويه». وقال آخر «إن الأطفال يأتون إلى العالم وفى طبيعتهم العناد والشر والأنانية». وكلنا نعرف الحقيقة المتداولة «النفس أمارة بالسوء». مع أن الله لم يخلقها هكذا ولكنها فسدت بالسقوط وهذا أمر طبيعى فالحية لا تلد إلا الحية، والخنزيرة لا يمكن أن تلد حملا، وكذلك لا يجتنون من الشوك عنباً ولا من الحسك تيناً، ولا تقدر شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة. (متى ٧:١٦-١٨). فالناس خطاة لسببين:

أولا: لأنهم مولودون بطبيعة فاسدة.

ثانياً: لأنهم يخطئون بإرادتهم نتيجة لتلبية رغبات طبيعتهم الفاسدة. كما يقول الرسول «إذ أخطأ الجميع» وأيضاً «الجميع زاغوا وفسدوا معاً (أى أنتنوا ولم يعد لهم نفع). ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رومية ٣:١٢).

هذا هو الموت الروحى. أما الموت الجسدى فحكم به الله على الإنسان بقوله لآدم «حتى تعود إلى

الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود» (تكوين ١٩:٣). ولكن العودة إلى التراب ليست هى النهاية لأن نفس الإنسان خالدة تبقى إلى الأبد، لذلك يقول الرسول بولس «وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (عبرانيين ٢٧:٩). وبعد الدينونة (المحاكمة) أمام العرش العظيم الأبيض يطرح جميع الأشرار فى النار الأبدية ويقول الكتاب «هذا هو الموت الثانى» (رؤيا ١٤:٢٠)، أى بعد الموت الجسدى الأول. وعذاب النار الأبدية حقيقة تقر بها جميع الأديان.

وخلاصة القول هى أن السقوط جلب على البشر :

١- الموت الروحى أى الانفصال عن الله ويتبع هذا فساد الطبيعة البشرية التى صارت مستودعاً لكل بذور الشر والعداوة والقتل والأنانية والشهوات بدرجة تجعل الناس أنفسهم ينفرون من هذه الشرور فى الآخرين، فكم بالحرى هى كريهة فى نظر الله.

٢- الموت الجسدى أى انفصال الروح عن الجسد الذى يعود إلى التراب الذى أخذ منه.

٣- العذاب الأبدى الذى هو قضاء الله على جميع الخطاة.

وبناء عليه فلا يمكن أن يقترب الإنسان إلى الله أو تكون له معه علاقة حاضراً وأبدياً إلا إذا تم إيفاء مطاليب عدل الله، وانقاذ الإنسان من عواقب السقوط الوبيلة السابق الاشارة إليها حتى يمكن أن تزول عنه صفة الذنب ويتبرر أمام الله. ولابد أيضاً من إعطاء الإنسان طبيعة جديدة بها يتوافق مع الله ويصلح لمساكنته. ومعالجة حالة الإنسان من كل الوجوه بالكيفية التى ذكرناها مستحيلة على الإنسان تماماً بالرغم من كل محاولاته المستمرة.

حالة الإنسان الساقط والعلاج الإلهى فى تك ٣

مما يسترعى النظر أن الفصل الذى يخبرنا عن سقوط الإنسان فى أول صفحات الكتاب المقدس (فى تكوين ٣) يرينا بوضوح:

١- نتائج السقوط الوبيلة التى أشرنا إليها.

٢- فشل جهود الإنسان لمعالجة حاله وعودته للاقتراب إلى الله.

٣- العلاج الإلهى الكامل الذى يكفل التبرير والقبول والخلاص من العقاب الأبدى، وكأن الله قد أودع كل بذور مقاصده الصالحة نحو الإنسان فى الصفحات

الأولى من كتابه المقدس.

ونبين باختصار كيف نجد هذه النقاط الهامة الثلاث فى أصحاحى ٣، ٤ من سفر التكوين:

١- نجد فساد طبيعة الإنسان فى التشكك فى محبة الله وفى صدق أقواله. حيث أوهمه الشيطان أن الله منع خيراً بنهيه إياه عن الأكل من الشجرة وبأن الله غير صادق فى تهديده إياه بالموت. هذا فضلا عن استهانة الإنسان بسلطان خالقه، وإهانته بالتعدى على وصيته. وزاد الطين بلة بإلقاء تبعة سقوطه على الله قائلا: «المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت» (تكوين ٣:١٢). وقد ظهرت علامات هذا الفساد فى وجود الإنسان فى حالة العرى والخزى، وفى اختبائه من محضر الله.

٢- على أن الإنسان لم يستسلم لله ليعالج حاله التعيس بل حاول أن يعالج أمره بنفسه (عندما نقول الإنسان نقصد آدم وحواء معاً) «فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر» (تكوين ٣:٧) وكل ما استطاعت هذه المآزر أن تفعله هو أن تغطى عرى الواحد منهما عن الآخر، وليس عن الله لأن آدم وهو متزر بالمآزر يقول لله «لأنى عريان». وأوراق التين تمثل كل الوسائل البشرية فى كل العصور لمحاولة إصلاح

طبيعة الإنسان وتهذيبها، وكل وسائل الصقل وتحسين الأخلاق والمظهر، فإن هذه كلها إنما تخفى مخازى الإنسان الداخلية عن إخوانه، ولكنها لا يمكن أبداً أن تخفيها عن نظر الله أو أن تصلح طبيعة الإنسان بأى درجة من الإصلاح، كما هو مكتوب «المولود من الجسد جسد هو» (يوحنا ٣:٦) وأيضاً «اهتمام الجسد هو موت ... هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله» (رومية ٨:٦-٨). ونرى صورة لذلك فى إشعياء النبى، إذ لم يستطع أن يكتشف حقيقة حاله إلا فى نور مجد الرب فصرخ قائلا «ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين» (إشعياء ٦:٥). ثم نجد فى تكوين ٤ أن قايين أول ابن لآدم حاول أن يقترب إلى الله بأعماله - بمجهوده وتعب يديه فرفضه الله ولم ينظر إليه. هذا هو الطريق الذى اختطه قايين لنفسه متجاهلا فساد طبيعته وقضاء الله عليه بالموت كخاطىء.

وهو نفس الطريق الذى يسير فيه كل من يظن أعماله الصالحة يمكن أن تؤهله للاقتراب من الله بينما يقول الكتاب صراحة «ويل لهم لأنهم سلكوا

طريق قايين (*)» (يهوذا:١١).
٣- أما العلاج الإلهى فيتمثل أولا وقبل كل شىء فى الوعد الإلهى بنسل المرأة الذى يسحق رأس الحية، ثم فى أقمصة الجلد التى صنعها «الرب الإله لآدم وامرأته ... وألبسهما» (تكوين ٣:٢١). أما نسل المرأة فهو المسيح - المخلص الوحيد الذى «جاء مولوداً من امرأة» - من عذراء لم يمسسها رجل إذ حبل به فيها من الروح القدس (متى ١:٢٠) أما سحقه رأس الحية فكان بالموت على الصليب المشار إليه بالقول «أنت تسحقين عقبه» (أى طبيعته الإنسانية)، وفى ذلك مكتوب أيضاً أن المسيح اشترك فى اللحم والدم «لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس» (عبرانيين ٢:١٤). وهنا نجد ثلاث حقائق فى غاية الأهمية (هى خلاصة موضوع هذا الكتيب):
١- لاهوت المسيح، لأنه من ذا الذى يسحق رأس الشيطان إلا الله.
٢- ناسوت المسيح الذى به صار نسل المرأة.
٣- موت المسيح الكفارى الذى بواسطته انتصر على الشيطان وسحقه.

(*) أما الطريق الصحيح فهو الذى سلكه هابيل أخوه إذ بالإيمان قدم لله ذبيحة من أبكار غنمه ومن سمانها وفى هذا رمز لضرورة الفداء والكفارة كما سنرى.

أما أقمصة الجلد ففيها إشارة واضحة إلى الفداء والكفارة. وسنتكلم عن ذلك بالتفصيل لأنه السر فى موت المسيح مصلوباً الذى هو موضوع هذا الفصل. ولكن قبل ذلك أشير إلى نقطتين فى الأصحاح الثالث من سفر التكوين: النقطة الأولى أن آدم بعد أن سمع الوعد بنسل المرأة آمن، ولذلك كساه الله بقميص الجلد بعد إيمانه. وهذا هو طريق الله للتبرير دائماً: السمع، والإيمان، ولبس المسيح كثوب البر، ويتمثل هذا فى القول «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه» (رومية ٣:٢٤). أما دليل الإيمان فى آدم فهو أنه بعد أن سمع الوعد بنسل المرأة دعا اسم امرأته حواء (اى حياة) لأنها أم كل حى، مع أنه سمع قبل ذلك مباشرة أنه سيموت ويعود إلى الأرض التى أخذ منها، ولكنه بالإيمان بوعد الله عن نسل المرأة ارتفع فوق دائرة الموت ودعا اسم امرأته «حياة» وبعد ذلك نقرأ مباشرة «صنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما» فجاء التبرير نتيجة للإيمان.

أما النقطة الثانية فنجدها فى آخر هذا الأصحاح الثالث من التكوين وهى أن الله «أقام الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة» (تكوين ٣:٢٤).

وفى هذا نجد الإشارة إلى أن الوصول إلى «شجرة الحياة» أو بالحرى نوال الحياة الأبدية يحول دونه «الكروبيم ولهيب السيف المتقلب». ولم يستطع أحد أن يفتح لنا هذا الطريق ويوصلنا إلى الحياة الأبدية إلا المسيح الذى تنبأ عنه زكريا قبل مجيئه بالجسد بخمسمائة سنة قائلا «استيقظ ياسيف على راعى وعلى رجل رفقتى (المسيح) اضرب الراعى» (زكريا ١٣:٧). أما الكروبيم فكانت مصورة على حجاب الهيكل. ولما مات المسيح على الصليب نقرأ «فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل» (متى ٢٧:٥٠،٥١) أى أن الكروبيم الحارسين لطريق شجرة الحياة قد أفسحوا الطريق للوصول إلى حضرة الله - إلى الحياة الأبدية على أساس الإيمان بموت المسيح الذى فيه احتمل ضربة سيف العدل الإلهى عوضاً عنا.

حتمية الفدا. بموت المسيح

رأينا فيما سلف أنه لا يمكن للإنسان تمجيد الله ومحو الإهانة التى لحقته بسبب العصيان، كما لا يمكنه تخليص نفسه من عواقب سقوطه، والحصول على التبرير والقبول لديه تعالى. ومن ثم لزم موت

المسيح لفدائه ولتحقيق هذه الأغراض. وهنا يأتى السؤال: ألم تكن هناك وسيلة أخرى؟ الجواب كلا. وهنا يأتى سؤال آخر: كيف يسوغ لنا أن نحصر قدرة الله غير المحدودة فى وسيلة واحدة لا بديل لها؟ الجواب: أن الله يستطيع كل شىء ولا يعسر عليه أى أمر، ولكن ذلك فى مجال كماله المطلق وتوافق جميع صفاته معاً. فلا يقدر الله أن ينكر نفسه (تيموثاوس الثانية ٢:١٣). ولا يمكن أن ينكث عهده «لا أكذب من جهة أمانتى. لا أنقض عهدى. ولا أغير ما خرج من شفتى» (مزمور ٨٩:٣٤، عبرانيين ٦:١٨).

وبما أن الله عادل وقدوس فلا يتفق مع عدله وقداسته أن يتساهل مع الخطية أو يدعها تمر بدون توقيع القصاص الذي صدر منه تعالى «أجرة الخطية هى موت» (رومية ٦:٢٣). صحيح أن الله غفور رحيم، ونحن نعتز برحمته ومحبته اللتين لا حد لهما. ولكن الرحمة لا يمكن أن تتجه إلا متوافقة مع القداسة والعدل. فالذين يريحون ضمائرهم بترك أمر خطاياهم إلى رحمة الله هم واهمون إن لم يستندوا على الأساس الصحيح للرحمة وهو الفداء بواسطة بديل كفء يتحمل كل متطلبات العدل، وحينئذ يتسع المجال أمام رحمة الله لتتجه للبشر الخطاة لقبولهم

وتبريرهم عدلا حيث يكون الله «باراً (عادلا) ويبرر من هو من الإيمان بيسوع» (رومية ٢:٢٦). ولا يوجد بديل كفء إلا المسيح وحده كما سنرى. والصليب هو الحل الوحيد الذى فيه تمت النبوة «الرحمة الحق التقيا. البر والسلام تلاثما» (مزمور ٨٥:١٠).

ومبدأ الفداء يملأ الكتاب المقدس من أوله إلى آخره، فقد رأيناه لأول مرة فى تكوين ٣ ثم فى تكوين ٤ كما سبقت الإشارة. وكان تقديم الذبائح هو طريق العبادة المقبولة لدى الله كما نرى فى نوح حيث نقرأ أنه «أصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا» (تكوين ٨:٢١). وكان إبراهيم يقيم المذبح ملازماً لخيمته. كما نقرأ عن أيوب الذى كان معاصراً لابراهيم أنه كان يقدم ذبائح بعدد بنيه لفدائهم من القصاص على ما قد يكون صدر منهم من خطايا ولو بالفكر. وقال الله «أنا أعطيتكم الدم على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس» (لاويين ١٧:١٠) ولذلك قال الرسول بولس «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عبرانيين ٩:٢٢).

وتقديم الذبائح يفيد الاعتراف بالخطايا باستحقاق الموت. وقد رسم الله لشعبه قديماً فى

سفر اللاويين أربعة أنواع رئيسية من الذبائح هى: المحرقة، وذبيحة الخطية، وذبيحة الإثم، وذبيحة السلامة. ومن الذبائح ما كانوا يضعون أياديهم على رؤوسها ويقرون بخطاياهم رمزاً لانتقال هذه الخطايا إلى الذبيحة قبل ذبحها. أما المحرقة فكانوا يضعون أيديهم على رأسها رمزاً لانتقال براءتها إلى مقدم الذبيحة.

ولم تكن تلك الذبائح إلا رمزاً لتقديم المسيح نفسه ذبيحة لله بحسب رسم المشورات الأزلية. ولذلك لما رأى يوحنا المعمدان المسيح مقبلا إليه قال «هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» (يوحنا ١:٢٩). أما الذبائح فى ذاتها فلم تكن ترفع خطايا «لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا. لذلك عند دخوله إلى العالم يقول (المسيح) ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لى جسداً ... هأنذا أجىء فى درج الكتاب مكتوب عنى لأفعل مشيئتك يا الله... ينزع الأول (أى الذبائح الحيوانية) لكى يثبت الثانى (أى ذبيحة المسيح). فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عبرانيين ١٠:٤-١٠). ولذلك قال داود «لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها. بمحرقة لا ترضى» (مزمور ٥١:٦). وقال ميخا «بم أتقدم للرب. هل

أتقدم بمحرقات ... هل يسر الله بألوف الكباش ... هل أعطى بكرى عن معصيتى؟ ثمرة جسدى عن خطية نفسى» (ميخا ٦:٦، ٧).

الشروط الواجب توافرها في الفادي

١- لابد أن يكون الفادي إنساناً، ولذلك دعى المسيح «ابن الإنسان» و «الإنسان الثانى» و «آدم الأخير» لكى يستطيع أن يموت عن البشر ليفديهم.

٢- يجب أن يكون هذا الإنسان باراً وكاملا لأن الخاطىء لا يمكن أن يفدى الخاطىء لذلك مكتوب «الأخ لن يفدى الإنسان فداء ولا يعطى الله كفارة عنه. وكريمة هى فدية نفوسهم فغلقت إلى الدهر» (مزمور ٤٩:٧، ٨). والمسيح له المجد مكتوب عنه أنه «لم يفعل خطية» و «لم يعرف خطية» «وليس فيه خطية». وقد شهد ببره جميع أعداءه، حتى مسلمه يهوذا، والذى حكم عليه بيلاطس.

٣- أن تكون قيمته أعظم من قيمة كل البشر معاً لأنه لا يفدى إنساناً واحداً بل ملايين المؤمنين فى كل الأجيال. ولا يتوفر هذا الشرط إلا فى المسيح الذى هو الله «الذى ظهر فى الجسد».

٤- أن يكون ملكاً لنفسه أى غير مخلوق، لأن كل

مخلوق هو ملك لله خالقه ولا يمكن أن يقدم لله ما لا يملكه. ولا يتوفر هذا الشرط إلا فى المسيح له المجد الذى هو الخالق. وقد قال «لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً» (يوحنا ١٠:١٨).

٥- أن يكون قادراً وراغباً فى تحمل قصاص خطايا كل البشر الذين ينوب عنهم. كما أنه يكون قادراً أن يعطى لمن يفديهم حياة روحية وطبيعة أدبية تتوافق مع الله.

وبناء عليه لا يمكن أن يكون الفادى إلا المسيح وحده الذى هو الله وإنسان معاً (*)

محبة الله الفائقة المعرفة

يقول قائل: ما الذى يلزم الله بسلوك هذا الطريق الشاق الفائق العقل لفداء بشر خطاة كان يمكن أن يبيدهم ويخلق أفضل منهم؟! إنى فعلا أعذر

(*) لا بد من الإشارة هنا إلى أن آلام الصلب والموت قد وقعت على طبيعة المسيح الناسوتية لأن اللاهوت منزه عن الألم والموت كما هو مكتوب «الذى وحده له عدم الموت» (تيموثاوس الأولى ٦:١٦). ولكن لا تبرح عن بالنا هذه الحقيقة: أن لاهوت المسيح لم يفارق ناسوته لحظة واحدة: حتى وهو معلق على الصليب. وهذا ما يعطى لكفارة المسيح قيمتها اللانهائية غير المحدودة.

مقدم هذا السؤال لأنه من ذا الذى يستطيع أن يعرف محبة الله أو يصل إلى بعض أغوارها! والرسول بولس نفسه يقول إنها «فائقة المعرفة» (أفسس ٣:١٩) ويقول يوحنا الرسول «المحبة هى من الله ... ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به. فى هذا هى المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (الرسالة الأولى ٤:٧-١٠). وقال أيضاً «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣:١٦). وقال الرسول بولس «الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رومية ٥:٨). إنى لا أرى فى سؤال السائل اعتراضاً، بل تعجباً، وحق له أن يتعجب لأن الله عجيب فى كل شىء لا سيما فى المحبة التى هى طبيعته.

هذه المحبة هى التى خططت مشروع الفداء العظيم ونفذته. لماذا؟ «حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته ... حسب غنى نعمته ... حسب مسرته التى قصدها فى نفسه» (أفسس ١:٥-٩). وقد قال الرب يسوع «وأنا إن ارتفعت عن الأرض (أى

بالصليب) أجذب إلى الجميع» (يوحنا ١٢: ٣٢). ليت قلوبنا تتعمق فى محبة الله وتجتذب إليه، وتحصر فى محبته فنقول مع الرسول «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولا» (يوحنا الأولى ٤: ١٩).

لم يمت المسيح كشهيد

لم يكن ممكناً أن يموت المسيح كشهيد لأن «بالخطية الموت»، والمسيح كان خالياً من الخطية «ليس فيه خطية»، فلم يكن للموت سلطان عليه، كما قال بفمه الكريم «ليس أحد يأخذها (أى حياتى) منى بل أضعها أنا من ذاتى» ولذلك قصد اليهود مراراً أن يقتلوه ولكن لم يجسر أحد أن يمسكه بل كان يمر فى وسطهم ويمضى «لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد». وحتى فى الليلة الأخيرة التى فيها قبضوا عليه، عندما قال لهم «أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض» (يوحنا ١٨: ٦). عندما حوكم أمام بيلاطس لم يدافع عن نفسه ولم يجب على أسئلته حتى تعجب الوالى جداً، وكذلك هيرودس. ولكن لما قربت الساعة المعينة «ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم» (لوقا ٩: ٥١)، ولم يثن عزمه توسلات تلاميذه ومنهم بطرس الذى قال له «حاشاك يارب لا يكون لك هذا» (متى ١٦: ٢٢). كما يقول بروح

النبوة «إلى الوراء لم أرتد ... جعلت وجهى كالصوان» (إشعياء ٥٠:٥،٧).

وعندما أتت الساعة سلم نفسه بإرادته وأيضاً «مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق» (أعمال ٢:٢٣)، «ولكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد(*)» (عبرانيين ٢:٩).

ويظهر الغرضان الساميان من تقديم المسيح نفسه للموت فى آية واحدة حيث يقول الرسول بولس «كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة» (أفسس ٥:٢).

وزيادة على الشواهد العديدة التى قدمناها للدلالة على موت المسيح الفدائى الكفارى نضيف الشواهد الآتية:

من العهد القديم «ثقبوا يدى ورجلى ... يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون - لصق لسانى بحنكى (من العطش) وإلى تراب الموت تضعنى» (مزمور ٢٢:١٦،١٨،١٥). «العار قد كسر قلبى فمرضت. انتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد ... وفى عطشى يسقوننى خلا» (مزمور ٦٩:٢٠،٢١). «وهو مجروح من أجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه

والرب وضع عليه إثم جميعنا ... جعل نفسه ذبيحة إثم ... بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها ... وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين» (إشعياء ٥٣). وفى نبوة زكريا نجد الثلاثين من الفضة التى باع بها يهوذا سيده (ص ١٢:١١)، ونجد طعن جنب المسيح بالحربة (ص ١٠:١٢)، ونجد أيضاً الجروح التى فى يديه (ص ٦:١٣).

من العهد الجديد «لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين (مرقس ٤٥:١٠). «جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم» (يوحنا ٥١:٦). «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا» (كورنثوس الأولى ٧:٥) «المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب» (كورنثوس الأولى ٣:١٥). «الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا» (أفسس ٧:١). «الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (تيموثاوس الأولى ٦:٢). «الذى بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا» (تيطس ١٤:٢) «عالمين أنكم افتديتم .. بدم كريم ... دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (بطرس الأولى ١٨:١-٢٠). «الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة» (بطرس الأولى ٢٤:٢). «المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة لكى يقربنا إلى الله»

(بطرس الأولى ٢:١٨) «الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه» (رؤيا ١:٥).

دليل قبول الكفارة

هل قبلت كفارة المسيح؟ نعم بكل يقين. وأول دليل على ذلك انشقاق حجاب الهيكل فى لحظة موت المسيح. والحجاب هو الذى كان يغلق الطريق إلى محضر الله.

والدليل الثانى أن الله أقام المسيح من الأموات «الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» (رومية ٤:٢٥).

والدليل الثالث أنه دخل إلى السماء «كسابق لأجلنا» (عبرانيين ٦:٢٠) أى أنه فتح لنا الطريق للدخول إلى هناك. ولم يدخل إلى السماء فقط بل «جلس فى يمين العظمة فى الأعالى» حيث قال له الله إذ شبع بكمال عمله على الصليب «اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (عبرانيين ١:٣،١٣).

بركات الإيمان بالفدا.

لقد أكمل المسيح عمل الفداء وصار كل شيء معداً للاقتراب إلى الله والتمتع بكل بركاته. وليس على الإنسان إلا الإيمان بكمال الفداء الذى أتمه

المسيح لأجله شخصياً. وما أكثر، وما أعظم البركات التى ينالها المؤمن. الواقع أنها «كل بركة روحية فى السمويات فى المسيح» (أفسس ١:٣) ولا يسعنا الوقت لتعداد هذه البركات ولكننا نذكر منها ما يأتى: غفران الخطايا، التبرير (كأن المؤمن لم يفعل ذنباً على الإطلاق)، الولادة الثانية (أى الحصول على طبيعة جديدة طاهرة)، عطية الروح القدس ليسكن فى المؤمن، وبه يميت أعمال الطبيعة الفاسدة، وينتج ثمار الطبيعة الجديدة. كما أنه بالروح القدس يقدم الصلاة والعبادة المرضية لله «الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق» (يوحنا ٤:٢٣).

وهكذا تأتى نفس المؤمن إلى الله ساجدة متعبدة لتتمتع بالشركة معه كالآب المحب، ولها اليقين بأنه عندما يأتى المسيح ثانية تكون معه فى المجد فى بيت الآب (يوحنا ١٤:٢).

أقوال بعض العلماء عن صلب المسيح

قال إدريس فى تفسير ابن كثير جزء ١ صفحة ٣٦٦ «الله أمات المسيح ثلاثة أيام ثم بعثه ورفعه».

وقال شوقى أمير الشعراء مخاطباً المسيح:

عيسى! سبيلك رحمة ومحبة
في العالمين، عصمة وسلام
خلطوا صليبك والخناجر والمدى
وكل أداة للأذى وحسام

وقال الأستاذ على محمود الشاعر:

نسى القوم وصاياك وأضلوا وأساءوا
كما باعوك يامنقذ بيع الأبرياء
عجب فديتك المثلى وفى القول عزاء
ألهذا العالم الشرير ضاع الفداء؟



يا رب
ملجأ كنت لنا في دور فدور
من قبل أن تولد الجبال
أو أبدأت الأرض والمسكونة
منذ الأزل إلى الأبد
أنت الله
صلاة موسى في المزمور ٩٠: ١-٢

الفصـــل الخامس

صحة وحي الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وعدم وصول أي تحريف إليه

بما أننا استقينا كل الحقائق فى الفصول السابقة من الإعلان الإلهى فى الكتاب المقدس، فلا بد من إثبات صدوره بوحى من الله، وسلامته من أى زيف أو تحريف. والواقع أن تهمة تحريف الكتاب المقدس تهمة جزافية باطلة غير مقبولة شكلا أو موضوعاً، لأنها غير مدعمة بأسانيد الإتهام الواجبة. فتهمة التزييف يجب أن تقترن بتحديد الآيات المزيفة، وبيان الأصل قبل التزييف لمضاهاتها عليه، وبيان زمان التزييف، وكيفيته، والغرض منه، ومن الذين قاموا بالتزييف، وكيف اتفقوا عليه، وكيف لم يفطن له أحد طوال الأجيال.

من السهل أن تكيل الاتهامات لشخص دون أن تقدم الأدلة عليها. ولكن أغرب الكل أن تتهم شخصاً لا تعرفه شخصياً، وتبنى اتهامك على ما سمعته من آخرين. هل تعرف الكتاب المقدس؟ هل قرأته؟ تأكد يا صديقى أنك إذا قرأت الكتاب المقدس فسوف يسقط اتهامك من تلقاء ذاته، لأن الكتاب وحدة متماسكة منسجمة، تتجاوب كل أسفاره مع بعضها

تجاوباً كاملا، مع اختلاف كاتبيه من عدة نواح، وتباعد أزمنة كتابته، ومناطق صدوره، وذلك لأن المصدر واحد وهو الله، والكاتب واحد وهو الروح القدس. «كل الكتاب هو موحى به من الله» (تيموثاوس الثانية ٣:١٦). وأيضاً «تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (بطرس الثانية ١:٢١)..

لقد كتب الكتاب المقدس فى مدى ١٦٠٠ سنة من موسى النبى إلى يوحنا الرسول وكتبه أربعون كاتباً مختلفو البيئة والثقافة والمركز الاجتماعى. وهو كتاب عجيب فى تكوينه، وترتيب أسفاره، فيبدأ بسفر التكوين - نشأة الخليقة، وينتهى ذلك السفر بمشهد الموت «مات يوسف فحنطوه ووضعوه فى تابوت فى مصر» (تكوين ٥٠:٢٦) وذلك بسبب دخول «الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت» والسفر الثانى - سفر الخروج يأتى بالعلاج الإلهى للخطية - الفداء «أرى الدم (دم خروف الفصح) وأعبر عنكم». والسفر الثالث، «اللاويين» هو سفر العبادة والتقرب إلى الله، الأمر الذى لا يمكن أن يتم إلا على أساس الفداء. وهكذا ... ونجد مثلا ترتيب مزامير ٢٢،٢٣،٢٤: الأول مزمور الصليب، والثانى مزمور الرعاية، والثالث مزمور الملك - ترتيب إلهى

عجيب. وإذا نظرنا إلى أول صفحة فى الكتاب المقدس التى تحدثنا عن الخليقة: من الذى يعرف كيفية تكوينها وترتيب أيامها إلا الله الذى أوحى بالكتاب المقدس؟ لأن آدم نفسه لم يكن يعرف ما سبقه. وإذا جئنا إلى الأناجيل الأربعة نجد أن لكل انجيل اتجاهاً خاصاً. فانجيل متى هو انجيل الملك ولذلك يذكر نسب الرب حسب الجسد إلى داود، وانجيل مرقس هو انجيل الخدمة ولذلك لا يذكر نسب الرب بالمرة، وانجيل لوقا هو انجيل النعمة الذى يتحدث عن المسيح كابن الإنسان «نسل المرأة» ولذلك يذكر نسب المسيح إلى آدم. أما انجيل يوحنا فلا يذكر ولادة المسيح بالمرة لأنه يحدثنا عنه بوصفه ابن الله الأزلى الذى كان عند الله، وكان هو الله، ثم جاء بالجسد فى الوقت المعين «والكلمة صار جسداً» (يوحنا ١:١٤).

والكتاب المقدس كله يسير فى طريق مستقيم نحو هدف واحد، وهو اعلان الله ذاته، ومقاصد محبته نحو البشر من الأزل إلى الأبد. وموضوع الكتاب كله «المسيح» «فإن شهادة يسوع هى روح النبوة» (رؤيا ١٩:١٠). ولا يحتاج الكتاب المقدس إلى دليل على صحته خارج عنه، بل يشهد هو لذاته، فتجد فى كل سفر بعض الاقتباسات من الأسفار

الأخرى مع أن كتبة الأسفار لم يتلاقوا ولم يتفقوا معاً. وتجد فى العهد القديم الذى فى يد اليهود (أعداء المسيح إلى الآن) نبوات عجيبة تمت بحذافيرها فى العهد الجديد: مثل مكان ولادة المسيح فى بيت لحم، والأسرة التى ولد منها «بيت داود»، وولادته من عذراء (إشعياء ٧:١٤)، وآلامه الكفارية على الصليب، وثقب يديه ورجليه (انظر الفصل السابق)، ودفنه فى قبر رجل غنى...إلخ. قال أدولف سفير العالم اليهودى المتنصر أن العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد مثل العلاقة بين المسألة وحلها، أو أساس البيت وجدرانه مما يدل على أن كتبته جميعاً كانوا مسوقين بروح الله نفسه. نجد مثلا فى تكوين ١٤:١٨ شخصاً يظهر فجأة بدون بيان سابق لأبويه أو نسبه أو بداية حياته، «ملكى صادق» ثم نجد ذكره بعد ذلك فى مزمور ١١٠. وترينا رسالة العبرانيين سبب اغفال تلك البيانات وهو أنه «مشبه بابن الله» (عبرانيين ٧:٣). ولنأخذ مثالا آخر على دقة كلمات الوحى المقدس: نقرأ فى إشعياء ٦١ أن المسيح مسحه الله ليبشر المساكين ولينادى «بسنة مقبولة للرب وبيوم انتقام لإلهنا»، بينما نقرأ فى لوقا ٤ أن المسيح قرأ هذا الأصحاح وقال للسامعين «اليوم قد تم هذا المكتوب» ولكنه أغفل عمداً ذكر يوم

الانتقام لأن وقته لم يأت بعد.

ونجد فى الكتاب المقدس نبوات عن تاريخ ممالك العالم إلى وقت النهاية، وتاريخ شعب اليهود إلى وقت النهاية وذلك فى سفر دانيال، وتاريخ الكنيسة المسيحية فى سفر الرؤيا، وغير ذلك الكثير مما لا يتسع المجال لذكره. وقد تم بعض هذه النبوات بالضبط وبعضها فى طريق الإتمام. ونشاهد ذلك بعيوننا فى الوقت الحاضر. وقد شهد المسيح له المجد للعهد القديم مقتبساً عدة آيات منه، كما أوضح لتلاميذه الأمور المختصة بشخصه فى أسفار موسى والمزامير والأنبياء.

إنه كتاب واحد متماسك عجيب، هو كتاب الله الذى يخبرك عن مقاصد الأزل قبل خلق العالم، وعما سيحدث فى المستقبل إلى الأبد - إلى السماء الجديدة والأرض الجديدة. اقرأه. لا تحكم عليه قبل أن تقرأه. اقرأه فسيمسك بضميرك ويكشف لك عما فى داخلك ويأسر قلبك لأنه حى وفعال، وقد غير حياة ملايين من الناس من الشر والنجاسة إلى الطهر والقداسة. بعض الأشخاص قرأوه لينتقدوه فآمنوا به، وسجدوا لله وسلموه قلوبهم. كما ذهب بعض اليهود ليمسكوا المسيح، وسمعوا أقواله، فرجعوا إلى مرسليهم يقولون «لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان»

(يوحنا ٧:٤٦).

ولا يصح اتهام الكتاب المقدس بالتحريف للتخلص من صعوبة فهم (*) حقائق الثالوث الأقدس، ولاهوت المسيح، وموته مصلوباً. لأن هذه الحقائق متداخلة في كل الكتاب تداخلا تاماً، لا يمكن فصلها منه، كالخيوط التي يتكون منها نسيج الثوب أنها سدى الكتاب ولحمته. فإذا نسبت التحريف إلى بعض الأجزاء وحذفتها من الكتاب فستجد ما حذفته في باقي أجزائه. وقد رأينا في الفصل السابق أن صفحة واحدة في أول الكتاب المقدس (تكوين ٣) تحتوى على هذه الحقائق كلها.

(*) قال المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «عبقرية المسيح» صفحتى ١١٨ و ١٨٩ «من بدع القرن العشرين سهولة الاتهام كلما نظروا في تاريخ الأقدمين فوجدوا في كلامهم أنباء لا يسيغونها، وصفات لا يشاهدونها ولا يعقلونها. ومن ذلك اتهامهم الرسل بالكذب فيما كانوا يثبتونه من أعاجيب العيان أو أعاجيب العقل. ولكننا نعتقد أن التاريخ الصحيح يأبى هذا الاتهام. فشتان عمل المؤمن الذى لا يبالى الموت تصديقاً لعقيدته وعمل المحتال الذى يكذب ويعلم أنه يكذب. مثل هذا لا يقدم على الموت في سبيل عقيدة مدخولة. وهيهات أن يوجد من يستبسل في نشر دينه كما استبسل الرسل المسيحيون. فأقرب القولين إلى التصديق أن الرسل لم يكذبوا فيما رووه، وقالوا أنهم رأوه.

والآن نقدم بعض الأدلة الواضحة على عدم امكانية تحريف الكتاب.

العهد القديم: إنه لا يخبرنا عن انتصارات اليهود فقط بل عن هزائمهم أيضاً. ولا يخبرنا عن امتيازاتهم فقط بل عن وصف الله لهم بالرداءة، وغضبه عليهم. كما أنه لا يذكر فضائل الأنبياء فقط بل يكشف أخطاءهم ولا يستر ما ارتكبوه من خطايا كان بعضها شنيعاً. وقد كان العهد القديم موجوداً فى أيدى اليهود قبل مجىء المسيح بمئات السنين وكانت هناك نسخ منه فى الهيكل والمجامع، وكانوا يحافظون عليه بكل دقة وعناية، وكان الأتقياء منهم يواظبون على قراءته كل يوم، وكانوا يعرفون عدد آياته وكلماته، بل وعدد حروفه أيضاً، وعدد المرات التى وردت فيها كل كلمة وكل حرف. هذا فضلا عما سبقت الإشارة إليه من ورود اقتباسات عديدة منه فى العهد الجديد.

العهد الجديد: أقول مبدئياً أن القرآن يشهد للتوراة والانجيل، فإذا كان قد حدث تحريف فيهما يكون ذلك بداهة بعد القرن السابع للميلاد، وهذا مستحيل للأسباب الآتية:

١- انتشر الانجيل فى الشرق والغرب فى القرن الأول الميلادى، وترجم إلى بعض اللغات، ولم يعترض

عليه أحد من اليهود، وكان منهم من عاصر المسيح وسمعه. وكان الإنجيل يتلى فى اجتماعات العبادة، ويحفظ كثيرون أجزاء منه عن ظهر قلب منذ القرن الثانى بشهادة المؤرخين.

٢- هذا وقد اختلف المعلمون المسيحيون فى تفسير بعض آيات منه وانقسموا إلى عدة طوائف ولكن لم يطعن أحد منهم فى النص المكتوب، بل بقى انجيل واحد لكل الطوائف فى كل العصور وفى كل بلاد العالم.

٣- وجدت نسخ من الأناجيل وبعض الرسائل مكتوبة فى سنة ١٢٥م، ١٨٠م أى بعد كتابتها الأصلية بفترة وجيزة وهى محفوظة للآن. كما وجدت فى بلادنا المصرية النسخة المسماة «الأخميمية» المكتوبة فى القرن الثالث وهى محفوظة فى لندن. كما وجدت فى القرن الرابع نسخ «سانت كاترين» والنسخة «السينائية» (وهى محفوظة بالمتحف البريطانى)، والنسخة الفاتيكانية. ومن القرن الخامس النسخة «الاسكندرانية» والنسخة «الأفرائيمية» المحفوظة فى باريس. كما أنه توجد كتب دينية منذ القرن الأول بها اقتباسات كثيرة من الكتاب المقدس منها «رسالة كليمندس» سنة ٨٠م وهى محفوظة بمتحف لندن. ومن القرن الثانى كتابات «بوليكاربوس» تتحدث عن

صلب المسيح وقيامته وصعوده. وتفسير للانجيل فى ستة مجلدات بقلم «بابياس» وكثير غيرهم. وقد بحث بعض العلماء الآيات الواردة فى هذه الكتب فاتضح لهم أنها موجودة فى الكتاب المقدس تماماً. حتى قال بعض العلماء أنه لو فقدت نسخة الكتاب المقدس الحالية لأمكن جمع معظم آياتها من الكتب السابق ذكرها.

٤- هل يكون الغرض من التحريف إزالة العقد الظاهرية من الكتاب أم إضافتها إليه؟ إن الآيات التى تعلن الثالوث الأقدس، ولاهوت المسيح وناسوته، وموته على الصليب لا تزال موجودة فى الكتاب بعهديه القديم والجديد بدون أى محاولة لتفسيرها أو

(*) قال المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه «عبقرية المسيح» ص ٨٨-٩٠ وكتاب «الله» ص ١٤٩ و١٥٤ و ١٩٤ ما خلاصته «إذا اختلطت الروايات فى أخبار المسيح فليس فى هذا الاختلاط بدع، ولا دليل قاطع عن الانكار، لأن الأناجيل تضمنت أقوالا فى مناسباتها لا يسهل القول باختلافها، لأن مواطن الاختلاف بينها معقولة مع استقصاء أسبابها، والمقارنة بينها وبين آثارها. كما أن مواضع الاتفاق بينها تدل على أنها رسالة واحدة من وحى واحد». وقال أيضاً «الصواب أن الأناجيل هى العمدة الوحيدة فى كتابة تاريخ السيد المسيح. ومن الواجب أن يدخل فى الحسبان أنها هى العمدة التى اعتمد عليها قوم هم أقرب الناس إلى عصر المسيح وليس لدينا نحن بعد قرابة ألفى عام أحق منها بالاعتماد».

إزالة ما فيها من صعوبة تثير اعتراض غير المؤمنين.

٥- تمسك المسيحيون منذ البداءة بهذه الحقائق مع أنها تفوق الادراك البشرى، وقدموا حياتهم للاضطهاد، والعذاب، والموت من أجلها. فهل يعقل أن يكونوا قد فعلوا ذلك فى سبيل أقوال قد زوروها (*)؟

٦- توجد بعض اختلافات لفظية فى الأناجيل، فلو كان قد حدث فيه تحريف أما كانت أزيلت تلك الاختلافات؟

٧- حاول الشيطان إبادة العهد القديم وحرقه قبل المسيح، كما حاول اخفاء العهد الجديد وابادته فى العصور المظلمة ولكن الله حرص على صون كتابه ليبقى لنا نقياً كاملا لننهل منه ماء الحياة كما قال بطرس قديماً للمسيح «يارب إلى من نذهب كلام الحياة الأبدية عندك»؟ (يوحنا ٦:٦٨).

أما ما تجد فى الكتاب من صعوبات لا تستطيع فهمها فصل للرب طالباً منه أن يكشفها لك، ويريحك من جهتها، فهو «سامع الصلاة».

وانى أطلب من الله بكل قلبى أن يستخدم هذا الكتيب لإراحة أفكار الكثيرين، واقتيادهم إلى معرفة الله، والتجاوب مع محبته الفائقة...

محتويات الكتاب

لا يمكنني في هذه العجالة، كما سبقت الإشارة أن أتناول كل حقائق الإيمان المسيحي، ولكني أقتصر على خمس حقائق رئيسية..

١- أن الله الواحد ثلاثة أقانيم

هل هذا معقول؟

٢- أن السيد المسيح هو ابن الله

هل هذا معقول؟

٣- أن السيد المسيح ليس إنساناً نبياً فقط بل هو الله نفسه ظاهراً في الجسد

هل هذا معقول؟

٤- أن السيد المسيح، وهو الله ظاهراً في الجسد، مات مصلوباً

هل هذا معقول؟

٥- أن الكتاب المقدس موحى به كله من الله بعهديه القديم والجديد دون أن يصل إليه أي تحريف.

ما هي الأدلة على ذلك؟

هذا الكتاب

يتنـــاول خـمـس حقائق أســاســية

- الله في المسيحـية واحد أم ثـلاثـة؟
- المسيــح ابن اللــــه كيف؟
- الله ظهر في الجسد كيف؟
- المســيـح صـلـب أم لا ؟
- الكتـاب المقـدس مـوحى به من الـلـه دون أي تحـريف ، مــا هـي الأدلــة على ذلك؟

